

كتاب التوحيد

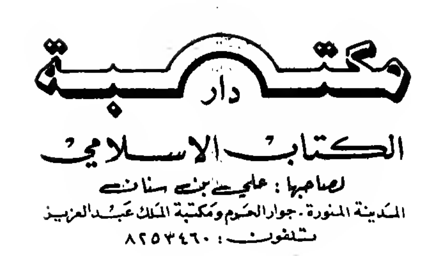
حق الله على العبيد

تأليف
شيخ الإسلام
محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله تعالى

وعليه بعض تعليقات الأفاضل العلماء

طبعة جديدة بتصحيح وتدقيق
الفقير إلى عفو ربه
علي بن محمد بن سنان
المدرس بالمسجد النبوي الشريف

مكتبة دار الكتاب الإسلامي
المدينة المنورة


مكتبة دار
الكتاب الإسلامي
لصاحبها: علي بن سنان
المدينة المنورة - جوار الحرم ومكتبة الملك عبد العزيز
تلفون: ٨٢٥٣٤٦٠


كتاب التوحيد
حق الله على العبيد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التوحيد

وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وقوله: ﴿وَلَقَد بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغوت﴾ الآية. وقوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ لَاتَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إحساناً﴾ الآية. وقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ الآية. وقوله: ﴿قُلْ: تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكم عليكم أن لَاتُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ الآيات.

قال ابن مسعود: «من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ، التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى.

(١) التوحيد: إفراد الخالق بالعبادة ذاتاً وصفة وأفعالاً ـ قال العلامة ابن القيم في مدارج السالكين: التوحيد نوعان: نوع في العلم والاعتقاد، ونوع في الإرادة والقصد، ويسمى الأول التوحيد العلمي، والثاني التوحيد القصدي الإرادي، لتعلق الأول بالأخبار والمعرفة، والثاني بالقصد والإرادة.

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكم عَلَيْكم أَن لَاتُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَذا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً﴾ الآية.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً، قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال: «لا تبشرهم فيتكلوا». أخرجاه في الصحيحين.

«فيه مسائل»: الأولى: الحكمة في خلق الجن والإنس. الثانية: أن العبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة فيه. الثالثة: أن من لم يأت به لم يعبد الله، ففيه معنى قوله: ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾. الرابعة: الحكمة في إرسال الرسل. الخامسة: أن الرسالة عمت كل أمة. السادسة: أن دين الأنبياء واحد. السابعة: المسألة الكبيرة، أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت. ففيه معنى قوله: ﴿فمن يكفر بالطاغوت﴾ الآية. الثامنة: أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله. التاسعة: عظم شأن ثلاث آيات محكمات في سورة الأنعام عند السلف، وفيها عشر مسائل، أولها: النهي عن الشرك. العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثماني عشرة مسألة، بدأها الله بقوله: ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً﴾ وختمها بقوله: ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً﴾ ونبّهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله: ﴿ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة﴾. الحادية عشرة: آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة، بدأها الله تعالى بقوله: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾. الثانية عشرة: التنبيه على وصية رسول الله ﷺ عند موته. الثالثة عشرة: معرفة حق الله علينا. الرابعة عشرة: معرفة حق العباد عليه إذ أدوا حقه. الخامسة عشرة: أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة. السادسة عشرة: جواز كتمان العلم للمصلحة[1]. السابعة عشرة:

(١) وجه ذلك أن النبي ﷺ أمر معاذاً أن يكتمها الناس، ولما أدركه الموت أخبر بها =

استحباب بشارة المسلم بما يَسرُّه. الثامنة عشرة: الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله. التاسعة عشرة: قول المسؤول عما لا يعلم: الله ورَسوله أعلم. العشرون: جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض[1]. الحادية والعشرون: تواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الإرداف عليه. الثانية والعشرون: جواز الإرداف على الدابة. الثالثة والعشرون: فضيلة معاذ بن جبل. الرابعة والعشرون: عظم شأن هذه المسألة.

باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنوا وَلم يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ الآية.

عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل». أخرجاه. ولهما في حديث عتبان فإن الله حرم على النار من قال: «لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله». وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «قال موسى: يا رب، علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله، قال: يا رب، كل عبادك يقولون هذا، قال: يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله

= عند موته خروجاً من الإثم، أخذاً بقوله ﷺ: «من كتم علماً ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار» ورواه ابن حبان في صحيحه والحاكم وقال: صحيح لا غبار عليه.

(١) «أل» في العلم للعِلْم الذهني، وهو العلم الزائد على قدر الحاجة في إقامة الدين، بدليل قوله تعالى: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات﴾ وقوله ﷺ: «ليبلغ الشاهد الغائب» الحديث، رواه البخاري.

إلا الله» رواه ابن حبان والحاكم وصححه. وللترمذي وحسنه، عن أنس. سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى:

﴿يا ابن آدَمَ، لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ[1] الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيْتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً﴾.

«فيه مسائل»: الأولى: سعة فضل الله. الثانية: كثرة ثواب التوحيد عند الله. الثالثة: تكفيره مع ذلك الذنوب. الرابعة: تفسير الآية التي في سورة الأنعام. الخامسة: تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة. السادسة: أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان، وما بعده تبين لك معنى قول ﴿لا إله إلا الله﴾ وتبين لك خطأ المغرورين. السابعة: التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان. الثامنة: كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل ﴿لا إله إلا الله﴾. التاسعة: التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات، مع أن كثيراً ممن يقولها يخف ميزانه. العاشرة: النص على أن الأرض سبع كالسموات. الحادية عشرة. إن لهن عُمّاراً. الثانية عشرة: إثبات الصفات، خلافاً للمعطلة. الثالثة عشرة: إنك إذا عرفت حديث أنس عرفت أن قوله في حديث عتبان: «فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله». إن ترك الشرك ليس قولها باللسان. الرابعة عشرة: تأمل الجمع بين كون كل من عيسى ومحمد عبد الله ورسوله. الخامسة عشرة: معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله. السادسة عشرة: معرفة كونه روحاً منه. السابعة عشرة: معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار. الثامنة عشرة: معرفة قوله: «على ما كان من العمل». التاسعة عشرة: معرفة أن الميزان له كفتان. العشرون: معرفة ذكر الوجه.

باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إبراهِيمَ كانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِين﴾. وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ﴾.

---

(١) القراب، بضم القاف وقيل بكسرها والضم أشهر: هو ملؤها أو ما يقارب ملأها.

عن حصين بن عبد الرحمن قال: «كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت. أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لدغت. قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت، قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي، قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حمة، قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: عرضت عليَّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أُمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه. فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي: هذه أمتك معهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الـذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه، فقال: هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون. فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: أنت منهم، ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال سبقك بها عكاشة»[1].

---

(١) الحديث رواه البخاري مطولاً ومختصراً، ومسلم والنسائي والترمذي. وهاك شرح ألفاظه: قوله: «انقض» «أي سقط». وقوله: «لا رقية» بضم الراء وسكون القاف، وهي العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات، وسيأتي بابها. وقوله: «إلا من عين» هو إصابة العائن غيره بعينه، وهو أن يتعجب الشخص من الشيء حين يراه فيتضرر ذلك الشيء منه. وقوله: «أو حمة» بضم الحاء المهملة وفتح الميم المخففة، وهي سم العقرب ونحوها. قال ابن الأثير: «وقد جاء في بعض الأحاديث جواز الرقية، وفي بعضها النهي، والأحاديث في القسمين كثيرة، ووجه الجمع بينها، أن الرقي يكره منها ما كان بغير اللسان العربي وبغير أسماء الله تعالى وصفاته وكلامه في كتبه المنزلة، وأن يعتقد أن الرقي نافعة لا محالة فيتكل عليها، وإياها اراد بقوله ﷺ: «ما توكل من استرقى». ولا يكره منها ما كان خلاف ذلك، كالتعوذ بالقرآن وأسماء الله والرقي المروية». =

«فيه مسائل»: الأولى: معرفة مراتب الناس في التوحيد. الثانية: ما معنى تحقيقه. الثالثة: ثناؤه سبحانه على ابراهيم بكونه لم يك من المشركين. الرابعة: ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك. الخامسة: كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد. السادسة: كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل. السابعة: عمق علم الصحابة لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بالعمل. الثامنة: حرصهم على الخير. التاسعة: فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية[1]. العاشرة: فضيلة أصحاب موسى. الحادية عشرة: عرض الأمم عليه، عليه الصلاة والسلام. الثانية عشرة: إن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها. الثالثة عشرة: قلة من استجاب للأنبياء. الرابعة عشرة: إن من لم يجبه أحد يأتي وحده. الخامسة عشرة: ثمرة هذا العلم، وهو عدم الاعتزاز بالكثرة وعدم الزهد في القلة. السادسة عشرة: الرخصة في الرقية من العين والحمة. السابعة عشرة: عمق علم السلف لقوله: «قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن كذا وكذا»

= وقال أيضاً «معنى قوله ﷺ: «لا رقية إلا من عين أو حمة» لا رقية أولى وأنفع، وهذا كما قيل لا فتى إلا علي، وقد أمر ﷺ غير واحد من أصحابه بالرقية، وسمع بجماعة يرقون فلم ينكر عليهم». وقوله: «الرهط» هو من الرجال ما دون العشرة. وقيل إلى الأربعين وقوله: «إذ رفع لي سواد» أي أشخاص من بعد لا أدري من هم. وهذا يدل على أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب. وقوله: «بغير حساب ولا عذاب» قيل: هل يدخلون وإن كانوا أصحاب معاص ومظالم؟ وأجيب بأن الذين كانوا بهذه الأوصاف الأربعة، لا يكونون إلا عدولاً مطهرين من الذنوب، أو ببركة هذه الصفات، يغفر الله لهم ويعفو عنهم. وقوله: «فخاض الناس» أي تباحثوا في شأنهم، لأن النبي ﷺ لم يبين للصحابة من هم السبعون. وقوله: «لا يسترقون» أي لا يطلبون الرقية ممن يرقي. وقوله: «ولا يكتوون» يعني لا يعتقدون أن الشفاء في الكي، كما كان عليه أهل الجاهلية. وقوله: «ولا يتطيرون» أي لا يتشاءمون بالطيور ونحوها كما كانت عادتهم قبل الإسلام، فإن العرب كانت تتطير بزجر الطير وغيره، يخرج أحدهم لسفر فيسمع لفظاً يدل على مكروه فيتشائم منه فيرجع عن سفره. والطير ما يكون في الشر، والفأل ما يكون في الخير، وكان رسول الله ﷺ يحب الفأل ويكره التطير. قوله: «وعلى ربهم يتوكلون» أي يفوضون الأمر إلى الله تعالى في ترتيب المسببات على الأسباب. والله اعلم.

(١) الكمية ترجع إلى العدد، والكيفية إلى الهيئة.

فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني. الثامنة عشرة: بُعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه. التاسعة عشرة: قوله: «أنت منهم» علم من أعلام النبوة. العشرون: فضيلة عكاشة. الحادية والعشرون: استعمال المعاريض. الثانية والعشرون: حسن خلقه ﷺ.

باب الخوف من الشرك

وقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

وقال الخليل عليه السلام: ﴿واجنبني وبنيَّ أن نعبد الأصنام﴾[1].

وفي الحديث: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فسئل عنه؟ فقال الرياء»[2]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وهو يدعو من دون الله نداً[3] دخل النار» رواه البخاري ولمسلم عن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار».

---

(١) قال الراغب الأصفهاني: الصنم جثة متخذة من فضة أو نحاس أو خشب كانوا يعبدونها متقربين به إلى الله تعالى وجمعه أصنام. قال بعض الحكماء: كل ما عبد من دون الله بل كل ما يشغل عن الله تعالى يقال له صنم. وعلى هذا الوجه قال ابراهيم صلوات الله عليه: «واجنبني وبني أن نعبد الأصنام» فمعلوم أن ابراهيم مع تحققه بمعرفة الله تعالى واطلاعه على حكمته لم يكن ممن يخاف أن يعود إلى عبادة تلك الجثث التي كانوا يعبدونها، فكأنه قال: «اجنبني عن الاشتغال بما يصرفني عنك» اهـ فكل ما تقرب به إلى الله من نار أو كوكب أو قبر صالح أو غير صالح وغير ذلك فهو صنم. فنسأل الله العصمة من ذلك كله. والله أعلم.

(٢) رواه أحمد.

(٣) الند: النظير المشارك له في جوهره، فكل ند مثل. وليس كل مثل نداً.

«فيه مسائل»: الأولى: الخوف من الشرك. الثانية: أن الرياء من الشرك. الثالثة: أنه من الشرك الأصغر. الرابعة: أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين. الخامسة: قرب الجنة والنار. السادسة: الجمع بين قربهما في حديث واحد. السابعة: أنه من لقيه لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار ولو كان من أعبد الناس. الثامنة: المسألة العظيمة، سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام. التاسعة: اعتباره بحال الأكثر لقوله: ﴿رب إنهن أضللن كثيراً من الناس﴾. العاشرة: فيه تفسير ﴿لا إله إلا الله﴾ كما ذكره البخاري. الحادية عشرة: فضيلة من سلم من الشرك.

باب الدعاء الى شهادة أن لا اله الاّ الله

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سبِيلِي أَدْعُو إلى اللّهِ عَلَى بَصِيرةٍ﴾ الآية.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله» وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» أخرجاه.
ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه، فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ، كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: هو يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه فأتي به، فبصق في عينيه ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال: انفذ على

رسلك[١]، حتى تنزل بساحتهم. ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه. فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم[٢]» يدوكون: أي يخوضون.

«فيه مسائل»: الأولى: أن الدعوة إلى الله طريق من اتبعه ﷺ. الثانية: التنبيه على الإخلاص، لأن كثيراً من الناس لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه. الثالثة: أن البصيرة[٣] من الفرائض. الرابعة: من دلائل حسن التوحيد أنه تنزيه لله تعالى عن المسبة. الخامسة: أن من قبح الشرك كونه مسبة لله. السادسة: وهي من أهمها، إبعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم ولو لم يشرك. السابعة: كون التوحيد أول واجب. الثامنة: أنه يبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة. التاسعة: أن معنى أن يوحدوا الله معنى شهادة أن لا إله إلا الله. العاشرة: أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها ولا يعمل بها. الحادية عشرة: التنبيه على التعليم بالتدريج. الثانية عشرة: البداءة بالأهم فالأهم. الثالثة عشرة: مصرف الزكاة. الرابعة عشرة: كشف العالم الشبهة عن المتعلم. الخامسة عشرة: النهي عن كرائم الأموال. السادسة عشرة: اتقاء المظلوم. السابعة عشرة: الإخبار بأنها لا تحجب. الثامنة عشرة: من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء. التاسعة عشرة: قوله «لأعطين الراية» الخ علم من اعلام النبوة. العشرون: تفله في عينيه علم من اعلامها ايضاً. الحادية والعشرون: فضيلة علي رضي الله عنه. الثانية والعشرون: فضل الصحابة في دوكهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح. الثالثة والعشرون: الإيمان بالقدر، لحصولها لمن لم يسع لها ومنعها عمن سعى. الرابعة والعشرون: الأدب في قوله «على رسلك».

---

(١) «انفذ» بضم الفاء من باب «قعد» أي امض. و «الرسل» بكسر الراء المهملة الهينة والتأني، أي اذهب وامض متمهلاً.

(٢) حمر النعم: الإبل الحمر. قال الراغب: النعم مختص بالإبل جمعه أنعام، وتسميته بذلك لكون الإبل عندهم أعظم نعمة، لكن الأنعام تقال للإبل والبقر والغنم، ولا يقال لها أنعام حتى يكون في جملتها الإبل.

(٣) البصير بالشيء: العالم بما يدعو إليه على بصيرة منه.

الخامسة والعشرون: الدعوة إلى الإسلام قبل القتال. السادسة والعشرون: أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا. السابعة والعشرون: الدعوة بالحكمة لقوله «أخبرهم بما يجب». الثامنة والعشرون: المعرفة بحق الله في الإسلام. التاسعة والعشرون: ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد. الثلاثون: الحلف على الفتيا.

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا اله الا الله

وقول الله تعالى: ﴿أُولئِكَ الَّذِين يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ الآية[1]. وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيم لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ الآية [2]. وقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ﴾ الآية. وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاس مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾ الآية.

وفي الصحيح[3] عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل».

---

(١) قال الراغب: «الوسيلة التوصل إلى الشيء برغبة، وهي أخص من التوسُّل لتضمنها معنى الرغبة، قال تعالى: ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة، وهي كالقربة، والواسل الراغب إلى الله تعالى» اهـ. أقول: والتوسل بالنبي ﷺ هو الاستسقاء به ﷺ في حياته. وثبت التوسل بغيره ﷺ بعد موته بإجماع الصحابة اجماعاً سكوتياً في حديث عمر رضي الله عنه لما قال: كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبيك، الحديث. ولم ينكر عليه أحد من الصحابة. وأما التوسل بغير هذه المسألة فلا يجوز. وفي هذا رسائل مؤلفة للأئمة، منها: كتاب «التوسل والوسيلة» لابن تيمية. و «الدر النضيد» للشوكاني والله اعلم.

(٢) فطرني: خلقني، من الفطرة أي الخلقة.

(٣) أي صحيح مسلم.

وشرح هذه الترجمة وما بعدها من الأبواب، فيه اكبر المسائل وأهمها، وهي: تفسير التوحيد، وتفسير الشهادة، وبينها بأمور واضحة، منها: آية الإسراء، بين فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين، ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر. ومنها آية براءة، بين فيها أن اهل الكتاب اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله، وبين انهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا الهاً واحداً، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في غير المعصية لادعاؤهم اياهم ومنها قول الخليل عليه السلام للكفار: ﴿انني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني﴾ فاستثنى من المعبودين ربه، وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هي شهادة أن لا إله إلا الله فقال: ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون﴾، ومنها آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم: ﴿وما هم بخارجين من النار﴾ وذكر انهم يحبون اندادهم كحب الله، فدل على أنهم يحبون الله حباً عظيماً ولم يدخلهم في الإسلام، فكيف بمن احب الند أكثر من حب الله، فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يحب الله؟ ومنها قوله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبدون من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله» وهذا من اعظم ما يبين معنى «لا إله إلا الله» فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه. فيا لها من مسألة ما اعظمها واجلها، ويا له من بيان ما اوضحه، وحجة ما اقطعها للمنازع.

باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ؟﴾ الآية.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر، فقال: ما هذه؟ قال: من الواهنة، فقال: انزعها فإنها

لا تزيدك إلا وهناً. فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً»[1]. رواه أحمد بسند لا بأس به، وله عن عقبة بن عامر مرفوعاً: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له»[2]. وفي رواية: «من تعلق تميمة فقد أشرك». ولابن أبي حاتم عن حذيفة: «أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾.

«فيه مسائل»: الأولى: التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك. الثانية: أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح، فيه شاهد لكلام الصحابة أن الشرك الأصغر اكبر من الكبائر. الثالثة: أنه لم يعذر بالجهالة. الرابعة: أنها لا تنفع في العاجلة بل تضر، لقوله: «لا تزيدك إلا وهناً». الخامسة: الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك. السادسة: التصريح بأن من تعلق شيئاً وكل إليه السابعة: التصريح بأن من تعلق تميمة فقد اشرك. الثامنة: أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك. التاسعة: تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الأكبر على الأصغر، كما ذكر ابن عباس في آية البقرة. العاشرة: أن تعليق الودع من العين من ذلك. الحادية عشرة: الدعاء على من تعلق تميمة أن الله لا يتم له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له، أي ترك الله له.

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية: «الواهنة: عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها فيرقى منها. وقيل: هو مرض يأخذ في العضد، وربما علق عليها جنس من الخرز يقال لها خرز الواهنة، وهي تأخذ الرجال دون النساء. وانما نهاه عنها لأنه انما اتخذها على انها تعصمه من الألم، فكانت عنده في معنى التمائم المنهى عنها». والحلقة: كان المشركون يجعلونها في عضدهم من نحاس اصفر أو غيره ويزعمون انها تحفظهم من اذى العين والجن ونحوهما. والخيط: كانوا يعقدونه ويتقلدون به، فنهى عنه لما فيه من شائبة الشرك.

(٢) الودعة، بفتحات احدى الودع. قال في النهاية: «وهو شيء ابيض يجلب من البحر يعلق في حلوق الصبيان وغيرهم». وقوله: «فلا ودع الله له» أي لا جعله الله في دعة وسكون، لأن ذلك من الشرك، والله اعلم.

باب ما جاء في الرقي والتمائم[1]

في الصحيح[2] عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه: «أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر، «أو قلادة» إلا قطعت»[3] وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقي والتمائم والتولة شرك»[4]. رواه أحمد وأبو داود. وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً: «من تعلق شيئاً وكل إليه». رواه والترمذي[5]. التمائم: شيء يعلق على الأولاد يتقون به العين، ولكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهى عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه. والرقي: هي التي تسمى العزائم، وخص منها الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة. والتولة هي شيء يصنعونه

---

(١) الرقي بضم الراء وتخفيف القاف: جمع رقية. مثل «مدى ومدية» وهي العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات. والتمائم: جمع تميمة، وهي خرزات كان العرب يعلقونها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم، فأبطلها الشرع والنهي في الأحاديث عام، فلا وجه لتخصيصه بغير تمائم القرآن، ولو كان ذلك جائزاً لورد عن الشارع كما ورد الإذن بالرقي المخصوصة، وقد تقدم الجمع بين أحاديث المنع من الرقية وجوازها عن ابن الأثير والله أعلم.

(٢) هو في الصحيحين.

(٣) قوله «فأرسل رسولاً» هو زيد بن حارثة كما بينه الحافظ. وقوله «من وتر»: هو بفتحتين: واحد أوتار القوس، وكان أهل الجاهلية إذا اخلولق الوتر أبدلوه بغيره وقلدوا به الدواب، اعتقاداً منهم أنه يرد عن الدابة العين ويدفع عنهم المكاره، فنهاهم النبي ﷺ عنها وأعلمهم انها لا ترد من أمر الله شيئاً. وقوله «أو قلادة» هو شك من الراوي: هل قال شيخه «قلادة من وتر» أو أو قال «قلادة» فقط ولم يقل «من وتر».

(٤) قال الحافظ: «التولة بكسر التاء وفتح الواو واللام مخففة: شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها، وهو ضرب من السحر، إنما كان من الشرك لما يراد به من دفع المضار وجلب المنافع من غير الله تعالى».

(٥) ورواه أيضاً أبو داوود والحاكم.

يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته. وروى أحمد عن رويفع قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا رويفع، لعل الحياة تطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته، أو تقلد وتراً أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمداً بريء منه». وعن سعيد بن جبير قال: «من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة» رواه وكيع[1] وله عن ابراهيم قال: كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن.

«**فيه مسائل**»: الأولى: تفسير الرقي والتمائم. الثانية: تفسير التولة. الثالثة: إن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء. الرابعة: أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمة ليس من ذلك. الخامسة: إن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء هل هي من ذلك أم لا؟ السادسة: أن تعليق الأوتار على الدواب من العين من ذلك. السابعة: الوعيد الشديد على من تعلق وتراً. الثامنة: فضل ثواب من قطع تميمة من انسان. التاسعة: أن كلام ابراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف، لأن مراده اصحاب عبد الله.

باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾ الآيات[2].

عن أبي واقد الليثي قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر

---

(١) وله عند أهل العلم حكم الرفع، لأن مثل ذلك لا يقال بالرأي والخبر مرسل، لأن سعيداً تابعي. ووكيع هو ابن الجراح، ثقة إمام صاحب تصانيف منها الجامع، روى عنه الإمام أحمد وطبقته، مات سنة ١٩٧.

(٢) اللات والعزى ومناة: أسماء لأصنام كانت تعبد في الجاهلية. أما اللات فكانت لثقيف والعزى لقريش وبني كنانة، ومناة في بني هلال، قال ابن هشام: كانت لهذيل وخزاعة.

إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون، لتركبن سنن من كان قبلكم﴾. رواه الترمذي وصححه[1].

---

(١) قوله: «حدثاء عهد» أي قريب عهدهم بالكفر والخروج منه والدخول في الإسلام فلم يتمكن الدين في قلوبهم وفيه دليل على أن غيرهم ممن تقدم إسلامه من الصحابة لا يجهل هذا، وأن المتنقل من الباطل الذي يعتاده قلبه لا يأمن من أن يكون فيه بقية من تلك العادة كما قال المصنف. وقوله: «ينوطون» أي يعلقون أسلحتهم عليها تبركاً بها وتعظيماً لها. وقوله «ذات أنواط» جمع نوط، وهو مصدر سمي به المنوط، ظنوا أن هذا أمر محبوب عند الله فقصدوا التقرب به إليه سبحانه، وإلا فهم أجل قدراً من أن يقصدوا مخالفة النبي ﷺ. وقوله «الله اكبر» وفي رواية «سبحان الله» المراد تعظيمه تعالى وتنزيهه عن الشرك بأي نوع كان مما لا يجوز أن يطلب أو يراد به إلا الله، فكان النبي ﷺ يستعمل التكبير والتسبيح في حال التعجب تعظيماً لله وتنزيهاً له سبحانه إذا سمع من احد ما لا يليق به تعالى مما فيه هضم للربوبية ونقص في الألوهية، وهكذا ينبغي لكل من يوحد الله ولا يشرك به شيئاً أن يكبر ويسبح عند سماع ما لا ينبغي أن يقال في الدين. وقوله «انها السنن» بضم السين، أي الطرق، والمراد بها تقليد من تقدمهم من اهل الشرك والضلال. وقوله «قلتم» الخ شبه مقالتهم هذه بقول بني اسرائيل لكونها مثلها وإن اختلفت العبارتان. قال في الدين الخالص: وفيه أن الإنسان قد يستحسن شيئاً يظنه مقرباً إلى الله تعالى وهو مبعده من رحمته ومدنيه من سخطه؛ وإذا كان يقع مثل هذا الحال والقال في سلف الأمة من الصحابة رضي الله عنهم فما ظنك بهذا الزمان الأخير الفاسد الكثير الآفات، ولا يعرف هذا على الحقيقة إلا من عرف ما وقع في هذه الأزمنة والعصور من كثير من المسمين بالعلماء والعباد وغيرهم مع أرباب القبور وغلوهم في تعظيمها والخضوع لها والعكوف بها والبناء عليها وإلباسها الثياب الفاخرة وصرف جل الإكرام لها بالحضور لديها بالمراسيم والأعراس ونحوها، ويحسبون انهم على شيء وليسوا في الحقيقة على شيء إلا على الذنب الأكبر الذي لا يغفره الله تعالى أبداً، والوزر الأعظم، الذي هو الشرك الجلي والكفر الواضح وقوله «لتركبن سنن من كان قبلكم» فيه دليل على أن هذه الأمة تقلد من قبلها من الأمم الضالة وتأتي بما أتته من الأفعال الشركية والكفرية التي تخرجهم من النور إلى الظلمات، ومن السنة البيضاء إلى حلك البدع والمحدثات، والله اعلم.

«فيه مسائل»: الأولى: تفسير آية النجم. الثانية: معرفة صورة الأمر الذي طلبوا. الثالثة: كونهم لم يفعلوا. الرابعة: كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك لظنهم أنه يحب. الخامسة: أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل. السادسة: أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم. السابعة: أن النبي ﷺ لم يعذرهم الأمر، بل رد عليهم بقوله: «الله اكبر إنها السنن، لتتبعن سنن من كان قبلكم» فغلظ الأمر بهذه الثلاث. الثامنة: الأمر الكبير، وهو المقصود، أنه اخبر أن طلبهم كطلب بني اسرائيل لما قالوا لموسى اجعل لنا إلهاً. التاسعة: إن نفي هذا من معنى «لا إله إلا الله» مع دقته وخفائه على أولئك. العاشرة: أنه حلف على الفتيا وهو لا يحلف إلا لمصلحة. الحادية عشرة: إن الشرك فيه أكبر وأصغر، لأنهم لم يرتدوا بهذا. الثانية عشرة: قولهم: «ونحن حدثاء عهد بكفر» فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك. الثالثة عشرة: التكبير عند التعجب خلافاً لمن كرهه. الرابعة عشرة: سد الذرائع. الخامسة عشرة: النهي عن التشبه بأهل الجاهلية. السادسة عشرة: الغضب عند التعليم. السابعة عشرة: القاعدة الكلية، لقوله «إنها السنن». الثامنة عشرة: أن هذا علم من أعلام النبوة لكونه وقع كما أخبر. التاسعة عشرة: أن ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا. العشرون: أنه متقرر عندهم أن العبادات مبناها على الأمر، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر، أما من ربك فواضح، وأما من نبيك فمن إخباره بأنباء الغيب، وأما من دينك فمن قولهم: «اجعل لنا» إلى آخره. الحادية والعشرون: أن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين. الثانية والعشرون: أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة، قولهم: «ونحن حدثاء عهد بكفر».

باب ما جاء في الذبح لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾[1] الآية. وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير: يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذي يعبدون غير الله =

عن علي رضي الله عنه قال: «حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: لعن الله من ذبح لغير الله. لعن الله من لعن والديه. لعن الله من آوى محدثاً. لعن الله من غير منار الأرض»[2] رواه مسلم. وعن طارق بن شهاب: أن رسول الله ﷺ قال: «دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: مرّ رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً، فقالوا لأحدهما: قرب قال: ليس عندي شيء أقرب، قالوا له: قرب ولو ذباباً، فقرب ذباباً، فخلوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب، فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل، فضربوا عنقه، فدخل الجنة» رواه أحمد.

= ويذبحون له، أي إنه أخلص لله صلاته وذبيحته، لأن المشركين يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه والانقياد بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى، قال مجاهد: النسك الذبح في الحج والعمرة، قال الإمام ابن تيمية: أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين، وهما الصلاة والنسك، والدالتان على القرب أو التواضع والافتقار وحسن الظن وقوة اليقين وطمأنينة القلب إلى الله وإلى عدته، عكس حال أهل الكبر والأنفة وأهل الغنى عن الله تعالى الذين لا حاجة لهم في صلاتهم إلى ربهم، والذين لا ينحرون له خوفاً من الفقر. ولهذا جمع بينهما في قوله: «قل إن صلاتي ونسكي».

(٢) اللعن: البعد عن مظان الرحمة ومواطنها، واللعين والملعون: من حقت عليه اللعنة أو دعى عليه بها. قال صاحب النهاية: «أصل اللعن الطرد والإبعاد من الله، ومن الخلق السب والدعاء». وفي الحديث جواز لعن أهل الظلم من غير تعيين، وأما لعن الفاسق المعين ففيه قولان: أحدهما أنه جائز، اختاره ابن الجوزي وغيره، والثاني أنه لا يجوز، اختاره أبو بكر عبد العزيز وشيخ الإسلام رحمهم الله تعالى، وهو المتجه جمعاً بين الروايات. وقوله «محدثاً» روي بكسر الدال المهملة وبفتحها، فعلى الأولى معناه: نصر جانبه وآواه وأجاره من خصمه وحال بينه وبين من يقتص منه، وعلى الثاني: هو الأمر المبتدع نفسه، ومعنى إيوائه الرضا به والصبر عليه، فإنه إذا رضي بالبدعة وأقر فاعلها ولم ينكر عليه فقد آواه. ومنار الأرض، بفتح الميم: علامات حدودها ومعالمها، يفعل ذلك ليغتصب من جاره أرضه، والله أعلم.

«فيه مسائل»: الأولى: تفسير (قل إن صلاتي ونسكي). الثانية: تفسير (فصل لربك وانحر). الثالثة: البداءة بلعنة من ذبح لغير الله. الرابعة: لعن من لعن والديه، ومنه أن تلعن والدي الرجل فيلعن والديك[1]. الخامسة: لعن من آوى محدثاً، وهو الرجل يحدث شيئاً يجب فيه حق الله، فيلتجىء إلى من يجيره من ذلك. السادسة: لعن الله من غير منار الأرض، وهي المراسيم التي تفرق بين حقك وحق جارك، فتغيرها بتقديم أو تأخير. السابعة: الفرق بين لعن المعين ولعن أهل المعاصي على سبيل العموم. الثامنة: هذه القصة العظيمة، وهي قصة الذباب. التاسعة: كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده، بل فعله تخلصاً من شرهم. العاشرة: معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين، كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلبهم، مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر. الحادية عشرة: أن الذي دخل النار مسلم، لأنه لو كان كافراً لم يقل دخل النار في ذباب. الثانية عشرة: فيه شاهد للحديث الصحيح: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك». الثالثة عشرة: معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان.

باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً﴾ الآية.

وعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: «نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة[2] فسأل النبي ﷺ فقال: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا: لا، قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا، فقال رسول

---

(١) شتم الرجل والديه من الكبائر، لما في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «من الكبائر شتم الرجل والديه. قالوا: يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه».

(٢) هو بضم الباء وقيل بفتحها، قال البغوي: موضع في أسفل مكة دون يلملم. وقال ابن الأثير: هضبة من وراء ينبع

الله ﷺ أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم» رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما.

«**فيه مسائل**»: الأولى: تفسير قوله: ﴿لا تقم فيه أبداً﴾. الثانية: أن المعصية قد تؤثر في الأرض، وكذلك الطاعة. الثالثة: رد المسألة المشكلة إلى المسألة المبينة ليزول الإشكال. الرابعة: استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك. الخامسة: أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع. السادسة: المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان ولو بعد زواله. السابعة: المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله. الثامنة: أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة، لأنه نذر معصية. التاسعة: الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم، ولو لم يقصده. العاشرة: لا نذر في معصية. الحادية عشرة: لا نذر لابن آدم فيما لا يملك.

باب من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾(١) وقوله: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُم مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ﴾(٢).

---

(١) الآية تدل على وفاء النذر ومدح من فعل ذلك، فالنذر من العبادة، فصرفه لغير الله شرك، فإذا نذر طاعة وجب عليه الوفاء بها، والنذر **قربة إلى الله تعالى**، ولهذا مدح الموفين، فإن نذر لمخلوق تقرباً إليه وتشفعاً منه له عند الله أو ليكشف ضره ونحو ذلك فقد أشرك في عبادته سبحانه غيره ضرورة. كما أن من صلى لله وصلى لغيره فقد أشرك. ووجه الدلالة من الآية الشريفة على هذا المعنى أن الله مدح الموفين بالنذر، والله لا يمدح إلا على فعل واجب أو مستحب أو ترك محرم، وذلك هو العبادة، فمن جاء به لغير الله تقرباً به إليه فقد أشرك.

(٢) قال ابن كثير: يخبر بأنه عالم بجميع ما يعمله العاملون من النفقات والمنذورات، وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين به ابتغاء وجهه. إذا علمت ذلك تعرف أن هذه النذور الواقعة من عباد القبور تقرباً بها إليهم ليقضوا لهم حوائجهم أو ليشفعوا لهم شرك في العبادة بلا ريب. كما قال تعالى: ﴿وجعلوا لِـلَّهِ مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً﴾ الآية، قال الشيخ قاسم في شرح درر =

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه».

«فيه مسائل»: الأولى: وجوب الوفاء بالنذر. الثانية: إذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه إلى غيره شرك. الثالثة: أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به.

باب من الشرك الاستعاذة بغير الله[1]

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهقاً﴾[2].

= البحار: النذر الذي ينذره اكثر العوام على ما هو مشاهد، كأن يكون للإنسان غائب أو مريض أو له حاجة فيأتي إلى قبر بعض الصلحاء ويجعل على رأسه سترة ويقول يا سيدي فلان إن رد الله غائبي أو عوفي مريضي أو قضيت حاجتي فلك من الذهب كذا أو من الفضة كذا أو من الطعام كذا أو من الماء كذا أو من الشمع كذا أو من الزيت كذا، فهذا النذر باطل بالاجماع، لوجوه: منها أنه نذر لمخلوق، والنذر له لا يجوز، لأنه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق. ومنها أن المنذور له ميت، والميت لا يملك شيئاً، ومنها أنه ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله، واعتقاد ذلك كفر. إلى أن قال: إذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها وينقل إلى ضرائح الأولياء تقرباً إليها محرم بإجماع المسلمين. نقل ذلك عنه ابن نجيم في البحر الرائق، ونقله المرشدي في تذكرته، وغيرهما عنه، وزادوا: وقد ابتلي الناس بهذا، لا سيما في مولد البدوي وغيره من المشهورين في الاعتقاد. وقال في شرح المنهاج قريباً من هذا وكلام العلماء أهل المعرفة في هذا الباب كثير، ولا حاجة بنا إلى نقله، وفي ذلك كفاية، وكتاب الله وسنة نبيه يغنيان عن ذلك كله، والله أعلم.

(١) قال ابن كثير: الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر، والعياذ يكون لدفع الشر، واللياذ لطلب الخير. وهذا تمثيل، وإلا فما يقوم بالقلب من الالتجاء إلى الله والاعتصام به والانطراح بين يدي الرب والافتقار إليه والتذلل لديه أمر لا تحيط به العبارة.

(٢) وذلك أن الرجل من العرب كان إذا أمسى بواد وخاف على نفسه قال: أعوذ بسيد

وعن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نزل منزلاً، فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق. لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك» رواه مسلم[1].

«فيه مسائل»: الأولى: تفسير آية الجن. الثانية: كونه من الشرك. الثالثة: الاستدلال على ذلك بالحديث، لأن العلماء يستدلون على أن كلمات الله غير مخلوقة، قالوا: لأن الإستعاذة بالمخلوق شرك. الرابعة: فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره. الخامسة: أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية، من كف شر أو جلب نفع لا يدل على أنه ليس من الشرك.

باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره[2]

وقول الله: ﴿وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ ما لا يَنْفَعُكَ وَلا

هذا الوادي من سفهاء قومه، يريد كبير الجن. قال مجاهد: كانوا إذا هبطوا وادياً يقولون نعوذ بعظيم هذا الوادي، فزادوا الكفار طغياناً. قال الحافظ بن كثير في تفسيره: فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوا رهقاً أي خوفاً وإرهاباً وذعراً حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذاً بهم.

(١) في هذا الحديث دليل على أن الله شرع لأهل الإسلام أن يستعيذوا بكلمات الله بدلاً عما يفعله اهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن ومعنى «التامات» كما قال القرطبي الكاملات التي لا يلحقها نقص ولا عيب كما يلحق كلام البشر، وقيل معناها الكافية الشافية. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد نص الأئمة كأحمد وغيره على أنه لا يجوز الاستعاذة بمخلوق، ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والتعاويذ التي لا يعرف معناها، خشية أن يكون فيها استعاذة بمخلوق، وذلك شرك. قال القرطبي: هذا صحيح وقول صادق علمنا صدقه دليلاً وتجربة، فإني منذ سمعت هذا الخبر عملت به فلم يضرني شيء إلى أن تركته فلدغتني عقرب بالمهدية ليلاً، فتفكرت في نفسي، فإذا بي قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات.

(٢) الاستغاثة: هي طلب الغوث، وهو إزالة الشدة. والاستعانة: طلب العون قال بعض العلماء: الفرق بينهما وبين الدعاء أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب، =

يَضُرُّكَ، فإنْ فَعَلْتَ فإنّكَ إذاً مِنَ الظّالمينَ﴾. ﴿وَإنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إلاَّ هُوَ﴾ الآية. وقوله: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ

= والدعاء أعم منه ومن غيره، فبينهما عموم وخصوص مطلق، يجتمعان في مادة، وينفرد الدعاء عنها في مادة، فكل استغاثة دعاء وليس كل دعاء استغاثة. والدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة، ويراد في القرآن هذا تارة، وهذا تارة، ويراد به مجموعهما أيضاً، فدعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضر، ولهذا أنكر الله على من يدعو أحداً من دونه ممن لا يملك ضراً ولا نفعاً، كقوله تعالى: ﴿قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً﴾ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه وأرضاه في الرسالة السنية: فإذا كان على عهد النبي ﷺ ممن انتسب إلى الإسلام من مرق مع عبادته العظيمة، فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة بهذه الأزمان قد يمرق أيضاً من الإسلام لأسباب: منها الغلو في بعض المشايخ، بل الغلو في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، بل الغلو في المسيح عليه السلام، فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الإلهية مثل أن يقول: يا سيدي فلان انصرني وأغثني وارزقني وعافني، أو أنا في حسبك وحفظك وحمايتك ورعايتك، ونحو هذه الأقوال، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قتل، فإن الله سبحانه إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبدوه وحده لا شريك له ولا يدعوا معه إلهاً، والذين يدعون مع الله إلهاً آخر مثل المسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا يعبدونهم ويعبدون قبورهم أو يعبدون صورهم يقولون إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله. فبعث الله سبحانه رسله تنهي أن يدعى أحد من دونه، لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة واستعانة، قال: ومن جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر إجماعاً، نقله عنه صاحب الفروع وصاحب الإنصاف وصاحب الإقناع وغيرهم. قال في الدين الخالص وذكره ابن تيمية رحمه الله تعالى في مسألة الوسائط ونقلوه عنه في الرد على ابن جرجيس اهـ. أقول: اعلم أن الاستغاثة في الأسباب الظاهرية العادية في الأمور الحسية في قتال أو إدراك عدو أو سبع أو نحوه تجوز، كقولهم يا لزيد للمسلمين، بحسب الأفعال الظاهرة، وأما الاستغاثة بالقوة والتأثير أو في الأمور المعنوية في الشدائد، كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص الله، لا يطلب فيها غيره، والله أعلم.

الرِّزْقَ وَاعْبُدُوه﴾ الآية. وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[1] الآيتين. وقوله: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾[2].

---

(١) قال ابن عطية في قوله تعالى: ﴿ولا تدع من دون اللّه ما لا ينفعك ولا يضرك﴾. «هذا الأمر والمخاطبة للنبي ﷺ، وإذا كان كذلك فأحرى أن يتحذر من ذلك غيره. والخطاب خرج مخرج الخصوص وهو عام للأمة». قال ابن جرير: «في هذه الآية يقول تعالى: ولا تدع يا محمد من دون معبودك ولا خالقك شيئاً لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة ولا يضرك في دين ولا دنيا ـ يعني بذلك الآلهة ـ يقول: أتعبدها راجياً نفعها أو خائفاً ضرها، فإنها لا تضر ولا تنفع. فإن فعلت ذلك ودعوتها من دون الله فإنك إذا من الظالمين، أي المشركين بالله، والله أعلم». دلت هذه الآية على أنه سبحانه هو المنفرد بالملك والقهر، والعطاء والمنع، والضر والنفع، دون كل ما سواه، فيلزم من ذلك أن يكون هو المدعو وحده، فإن العبادة لا تصلح إلا لمالك النفع والضر، ولا يملك ذلك ولا شيئاً مما هنالك غيره كائناً من كان من أوليائه أو أعدائه، فهو المستحق للعبادة والدعوة وحده، دون من لا يضر ولا ينفع. وقوله تعالى: ﴿فابتغوا عند اللّه الرزق﴾ أمر الله عباده بابتغاء الرزق عنده وحده دون من سواه ممن لم يملك لهم رزقاً من السموات والأرض، فتقديم الظرف أفاد الاختصاص. ﴿واعبدوه﴾: من عطف العام على الخاص، فإن طلب الرزق من الله من العبادة التي أمر بها. قال الحافظ ابن كثير: «معناه ابتغوا عند الله الرزق لا عند غيره لأنه المالك له وغيره لا يملك شيئاً من ذلك وأخلصوا له العبادة وحده لا شريك له واشكروا له على ما أنعم عليكم، إليه ترجعون فيجازي كل عامل بعمله». وقوله تعالى: ﴿ومن اضل ممن يدعو من دون الله﴾ الآية. فيه نفى سبحانه أن يكون أحد أضل ممن يدعو غيره، وأخبر أنه لا يستجيب له ما طلب منه إلى يوم القيامة. والآية تعم كل من يدعو من دون الله، والله أعلم.

(٢) أخبر المولى تعالى أنه الكاشف للضر لا غيره، وأنه المنفرد بإجابة المضطرين وأنه المستغاث لذلك، وأنه القادر على دفع الضر والقادر على ايصال الخير، فهو المنفرد بذلك. فإذا تعين ـ جل ذكره ـ خرج غيره، من ملك ونبي وولي وغير ذلك.

وروى الطبراني بإسناده: «أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله».

«فيه مسائل»: الأولى: أن عطف الدعاء على الاستغاثة من العطف العام على الخاص. الثانية: تفسير قوله: ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك﴾. الثالثة: أن هذا هو الشرك الأكبر. الرابعة: أن أصلح الناس لو يفعله إرضاء لغيره صار من الظالمين. الخامسة: تفسير الآية التي بعدها. السادسة: كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفراً. السابعة: تفسير الآية الثالثة. الثامنة: أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله، كما أن الجنة لا تطلب إلا منه. التاسعة: تفسير الآية الرابعة. العاشرة: أنه لا أضل ممن دعا غير الله. الحادية عشرة: أنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه. الثانية عشرة: أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له. الثالثة عشرة: تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو. الرابعة عشرة: كفر المدعو بتلك العبادة. الخامسة عشرة: هي سبب كونه أضل الناس. السادسة عشرة: تفسير الآية الخامسة. السابعة عشرة: الأمر العجيب، وهو إقرار عبدة الأوثان بأنه لا يجيب المضطر إلا الله، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين. الثامنة عشرة: حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد والتأدب مع الله.

باب قول الله تعالى

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ، وَلا يَسْتَطِيعُونَ لهم نَصْراً﴾ الآية[1]. وقوله:

(١) قال المفسرون: هذه الآية فيها توبيخ وتعنيف للمشركين في عبادتهم مع الله تعالى ما لا يخلق شيئاً وهو مخلوق، والمخلوق لا يكون شريكاً للخالق في العبادة التي خلقهم لها، وبين أنهم لا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون، فكيف يشركون به من لا يستطيع نصر عابديه ولا نصر نفسه. وهذا برهان ظاهر ودليل باهر على بطلان ما كانوا يعبدونه من دون الله. وهذا وصف كل مخلوق حتى =

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَملِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾[1] الآية.

وفي الصحيح عن أنس قال: «شج النبي ﷺ يوم أُحد وكسرت رباعيته، فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنزلت: ليس لك من الأمر شيء»[2]. وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أنه سمع رسول الله ﷺ

= الملائكة والأنبياء والصالحين وأشرف الخلق محمد ﷺ كان يستنصر ربه على المشركين ويقول: «اللهم أنت عضدي وأنت نصيري بك أحول وبك أقاتل».

(١) هو الأثر الذي في ظهر النواة، يضرب مثلاً للشيء الطفيف.

(٢) الحديث رواه البخاري تعليقاً، ووصله مسلم والنسائي والترمذي والإمام أحمد بن حنبل. قال ابن إسحاق في المغازي: حدثنا حميد الطويل عن أنس قال: كسرت رباعية النبي ﷺ يوم أُحد وشُج وجهه وجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم وهو يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم، فأنزل الله الآية اهـ. وذكر ابن هشام في السيرة من حديث أبي سعيد الخدري أن عتبة ابن أبي وقاص هو الذي كسر رباعية النبي ﷺ وجرح شفته السفلى، وأن عبد الله بن شهاب الزهري هو الذي شجه في وجهه، وأن عبد الله بن قميئة جرحه في وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، ووقع رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي عملها أبو عامر ليقع فيها المسلمون، فأخذ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بيد رسول الله ﷺ ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً، ومسح مالك بن سنان أبو أبي سعد الخدري الدم عن وجه رسول الله ﷺ ثم ازدردَهُ فقال رسول الله ﷺ: من مس دمه دمي لم تصبه النار. قال القرطبي: الرباعية بفتح الراء وتخفيف الباء هي كل سن بعد ثنية. قال النووي: وللأسنان أربع رباعيات. ولم تقلع الرباعية من أصلها بل كسرت فذهب منها فلقة. قاله الحافظ، والشج قال ابن الأثير: في الرأس خاصة في الأصل، وهو أن يضربه بشيء فيجرحه فيه ويشقه، ثم استعمل في غيره من الأعضاء قال النووي: وفي هذا وقوع الأسقام والابتلاء بالأنبياء عليهم السلام، لينالوا جزيل الأجر والثواب، ولتعرف أُممهم ما أصابهم من أهل الشرك فيتأسوا بهم. قال القاضي: وليعلم أنهم من البشر مخلوقون تصيبهم محن الدنيا ويطرأ على أجسادهم ما يطرأ على أجسام البشر، ليتيقنوا أنهم مخلوقون مربوبون، ولا نفتن بما أظهر على أيديهم من =

يقول: إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: اللهم العن فلاناً وفلاناً، بعدما يقول: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد. فأنزل الله: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾» الآية. وفي رواية: «يدعو على صفوان ابن أُمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، فنزلت: ليس لك من الأمر شيء». وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قام رسول الله ﷺ حين أُنزل عليه ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ فقال: يا معشر قريش أو كلمة نحوها، اشتروا أنفسكم، لا أُغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أُغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أُغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً[1]».

«فيه مسائل»: الأولى: تفسير الآيتين. الثانية: قصة أحد. الثالثة: قنوت

= المعجزات ويلبس الشيطان من أمرهم ما لبسه على النصارى وغيرهم اهـ. يعني من الغلو القبيح والعبادة لهم. ولكن للمؤمن الآن أسوة برسول الله ﷺ بالصبر على الأذى الحاصل من الملحدين والمارقين، وليجاهدوهم وليثبتوا، كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين، والله أعلم.

(١) أمر النبي ﷺ عشيرته الأقربين أن يشتروا أنفسهم بتوحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له وطاعته فيما أمر والانتهاء عما نهى عنه، فإن ذلك هو الذي ينجي من عذاب الله، لا الاعتماد على الانساب والأحساب، فإن ذلك غير نافع عند رب الأرباب، وليس بدافع العقاب والعذاب. وبين أنه ﷺ لا يستطيع أن ينفعهم بشيء. وهذا أكبر دليل على أنه لا ينجي من عذاب الله إلا الإيمان الخالص الذي هو التوحيد، والعمل الصالح الذي هو عدم الشرك، وأنه لا يجوز أن يسأل العبد إلا ما يقدر عليه من أمور الدنيا، وأما الرحمة والمغفرة والفوز بالجنة والنجاة من النار ونحو ذلك من كل ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يجوز أن يطلب إلا منه سبحانه وتعالى، وأن ما عند الله لا ينال إلا بتجريد التوحيد المفيد وإخلاص العمل السديد له، بما شرعه ورضيه لعباده أن يتقربوا به إليه، فإذا كان لا ينفع عمه وابنته وعمته وقرابته إلا بذلك، فمن ذا الذي ينفعه مع عدم هذا الإيمان والعمل، بل غيره أولى بالحرمان عن هذا وأحرى به، وفي هذا أكبر اعتبار وموعظة لمن عقل ذلك وتدبر.

سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة. الرابعة: أن المدعو عليهم كفار. الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار، منها شجهم نبيهم. وحرصهم على قتله. ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم. السادسة: أنزل الله عليه في ذلك ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾. السابعة: قوله ﴿أو يتوب عليهم أو يعذبهم﴾ فتاب عليهم فآمنوا. الثامنة: القنوت في النوازل. التاسعة: تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم. العاشرة: لعن المعين في القنوت. الحادية عشرة: قصته ﷺ لما أنزل عليه ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾. الثانية عشرة: جُدِهَ ﷺ بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون، وكذلك لو يفعله مسلم الآن. الثالثة عشرة: قوله للأبعد والأقرب: «لا أغني عنك من الله شيئاً» حتى قال: «يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً» فإذا صرح وهو سيد المرسلين بأنه لا يغني شيئاً عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه لا يقول إلا الحق ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم، تبين له مجانبة التوحيد، وغربة الدين.

باب قول الله تعالى

﴿حتَّى إذا فُزِّعَ(1) عن قُلُوبِهِمْ قالوا: ماذا قال رَبُّكُمْ؟ قالوا: الحقَّ وهو العَلِيُّ الكبيرُ﴾.

---

(1) معنى «فزع» زال الفزع عنها، قاله ابن عباس وابن عمر وعبد الرحمن السلمي والشعبي والحسن وغيرهم. قال ابن جبير: الذي فزع عن قلوبهم الملائكة وإنما فزع عنهم غشية تصيبهم عند سماع كلام الله تعالى بالوحي. وقيل الضمير راجع إلى المشركين عند الاحتضار ويوم القيامة، إذا استيقظوا مما كانوا فيه من الغفلة في الدنيا رجعت إليهم عقولهم يوم القيامة وكشف عنها الغطاء، قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير. واختار الأول ابن جرير وغيره. قال الحافظ ابن كثير في تفسيره بعد ما نقل الاحتمالين: «وقد اختار ابن جرير القول الأول، أن الضمير عائد على الملائكة، وهذا هو الحق الذي لا مرية فيه، لصحة الأحاديث فيه والآثار» وذكر طرفاً منها وأورد الحديث الآتي الذي أورده المصنف هنا وعزاه إلى البخاري، وقال: «انفرد بإخراجه البخاري دون مسلم من هذا الوجه، ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة، والله به أعلم».

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، ينفذهم ذلك، حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض، وصفه سفيان بكفه، فحرفها وبدد بين أصابعه، فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا، فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء»[1].

---

(١) قوله في الحديث: «إذا قضى» أي إذا تكلم الله في الأمر الذي يوحيه إلى امين الوحي جبريل عليه السلام بما أراده كما صرح بذلك الحديث الذي بعد هذا. وكما في رواية حديث ابن مسعود الذي رواه داود وسعيد بن منصور وابن جرير: «إذا تكلم بالوحي سمع اهل السموات صلصلة كجر السلسلة على الصفوان» وروى ابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال: «لما أوحى الجبار إلى محمد ﷺ دعا الرسول من الملائكة ليبعثه بالوحي، فسمعت الملائكة صوت الجبار يتكلم بالوحي، فلما كشف عن قلوبهم سألوا عما قال الله، فقالوا: الحق، وعلموا أن الله لا يقول إلا حقاً». وقوله «خضعاناً» هو بفتحتين من الخضوع، وفي رواية بضم الخاء وسكون الضاد، ويجوز ايضاً كسر الخاء مع سكون الضاد، وهو مصدر وصف به، كأنه بمعنى خاضعين، وفي رواية «خضعاً» بضم الخاء وتشديد الضاد، وهو جمع «خاضع» كراكع وركع. «والصفوان» الحجر الأملس. وقوله «ينفذهم» بفتح الياء وسكون النون وضم الفاء وبالذال المعجمة، أي يمضي فيهم، والإشارة بذلك إلى القول والضمير في «ينفذهم» للملائكة، أي يخلص ذلك القول ويمضي فيهم حتى يفزعوا منه، وعن ابن مردويه من حديث ابن عباس: «فلا ينزل على اهل السماء إلا صعقوا». أو المراد بمسترق السمع الشياطين، أي هم يسمعون الكلمة التي قضاها الله يركب بعضهم بعضاً، ووصف سفيان بن عيينة ركوب بعضهم فوق بعض بالتحريف والتبديد، أي التفريق بين الأصابع. والمعنى: يسمع الفوقاني الكلمة فيلقيها إلى آخر تحته وهلم جرا، إلى =

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة، أو قال: رعدة شديدة، خوفاً من الله عز وجل. فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجداً. فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مرّ بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربّنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق، وهو العلي الكبير، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمر الله عز وجل»[1].

«**فيه مسائل**»: الأولى: تفسير الآية. الثانية: ما فيها من الحجة على إبطال الشرك، خصوصاً ما تعلق على الصالحين، وهي الآية التي قيل إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب. الثالثة: تفسير قوله: ﴿قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾. الرابعة: سبب سؤالهم عن ذلك. الخامسة: أن جبريل يجيبهم بعد ذلك بقوله: قال كذا وكذا. السادسة: ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل. السابعة: أنه يقول لأهل السموات كلهم، لأنهم يسألونه. الثامنة: أن الغشي يعم أهل السموات كلهم. التاسعة: ارتجاف السموات بكلام الله. العاشرة: أن جبريل هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله. الحادية عشرة: ذكر استراق الشياطين. الثانية عشرة: صفة ركوب بعضهم بعضاً. الثالثة عشرة: إرسال الشهاب. الرابعة عشرة: أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وتارة يلقيها في أذن وليه من

= أن يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن. و «الشهاب» شعلة نار يرمي بها مسترق السمع. وفي هذا الحديث دليل على إثبات علو الله تعالى على خلقه على ما يليق بعظيم جلاله وأنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء الكلام، وكلامه مسموع يسمعه الملائكة. وهذا قول أهل السنة قاطبة خلفاً عن سلف، وكابراً عن كابر، وأباً عن جد، خلافاً للجهمية ونفاة المعتزلة، فإياك أن تلتفت إلى ما زخرفه أهل التعطيل وروجه أهل الأباطيل، والله أعلم.

(١) رواه ابن أبي حاتم. ومعنى «أخذت السموات رجفة» أي ارتجفت. هو دليل على أنها تسمع كلامه تعالى. وقوله «او قال رعدة» شك من الراوي ، وهي بكسر الراء. وذكر خوف الله تعالى ظاهر في أن السموات تخاف الله بما يجعل الله فيها من الإحساس ومعرفة من خلقها.

الإنس قبل أن يدركه. الخامسة عشرة: كون الكاهن يصدق بعض الأحيان. السادسة عشرة: كونه يكذب معها مائة كذبة. السابعة عشرة: أنه لم يصدق كذبة إلا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء. الثامنة عشرة: قبول النفوس للباطل كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة. التاسعة عشرة: كونهم يتلقى بعضهم من بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها. العشرون: إثبات الصفات خلافاً للأشعرية المعطلة. الحادية والعشرون: أن تلك الرجفة والغشي خوفاً من الله عز وجل. الثانية والعشرون: أنهم يخرون لله سجداً.

باب الشفاعة[1]

قول الله عز وجل: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا

---

(١) الشفاعة: هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم، يقال: شفع يشفع شفاعة فهو شافع وشفيع، والمشفع ـ بكسر الفاء المشدودة ـ الذي يقبل الشفاعة، والمشفع ـ بفتح الفاء المشددة ـ الذي تقبل شفاعته: قال العلامة ابن القيم: إن الشفاعة ستة أنواع: الأول: الشفاعة الكبرى التي يتأخر عنها أولو العزم من الرسل عليهم السلام حتى تنتهي إليه ﷺ، فيقول: أنا لها، وذلك حين تهرع الخلائق إلى الأنبياء ليشفعوا لهم إلى ربهم حتى يريحهم من مقامهم في الموقف. وهذه شفاعة يختص بها رسول الله ﷺ لا يشاركه فيها احد. الثاني: شفاعته لأهل الجنة في دخولها، وقد ذكرها أبو هريرة في حديثه الطويل المتفق عليه. الثالث: شفاعته لقوم من العصاة من امته قد استوجبوا النار، فيشفع لهم أن لا يدخلوها. الرابع: شفاعته في العصاة من اهل التوحيد الذين يدخلون النار بذنوبهم، والأحاديث بها متواترة عن النبي ﷺ، وقد اجمع عليها الصحابة واهل السنة قاطبة ويدعوا من انكرها، وأحاطوا به من كل جانب، ونادوا عليه بالضلال. الخامس: شفاعته لقوم من اهل الجنة في زيادة ثوابهم، ورفع درجاتهم، وهذا مما لم ينازع فيه احد. السادس: شفاعته في بعض الكفار من اهل النار حتى يخفف عذابه، وهذه خاصة بأبي طالب وحده. قال في الدين الخالص: قلت لما كان المشركون في قديم الزمان وحديثه إنما وقعوا في الشرك وابتلوا به لتعلقهم بأذيال الشفاعة كان ذلك هضماً لحق الربوبية ونقصاً لعظمة الألوهية وسوء ظن برب العالمين، والله اعلم.

إلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِـه وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيـعٌ﴾[1]. وقَـوْلُـهُ: ﴿قُلْ لِلّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً﴾[2]. وَقَوْله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلَّا بِإذْنِهِ؟﴾. وَقَـوْله: ﴿وَكَم مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَـوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إلَّا مِنْ بعْدِ أَنْ يأذَنَ اللّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾. وَقَوْله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ﴾.[3] الآيتين.

---

(١) معنى الإنذار: الإعلام بأسباب المخافة والتحذير منها. قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: ليس كل خلقه عاتب انما عاتب الذين يعقلون وهم المؤمنون باليوم الآخر أصحاب القلوب المتعظة، والآذان الواعية.

(٢) قال الحافظ بن كثير: «هذا كقوله ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ وقوله: ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة﴾ إلخ، فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأنداد عند الله. وهو سبحانه لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها، بل قد نهى عنها على ألسنة جميع رسله، وأنزل بالنهي عنها جميع كتبه».

(٣) قال العلامة ابن القيم في الكلام على هذه الآية وما قبلها مما ذكر هنا: «قد قطع الله الأسباب التي تعلق بها المشركون جميعاً. فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع، والنفع لا يكـون إلا ممن فيه خصلة من هـذه الأربع: الملك، والشركة، والإعانة والظهور، والشفاعة. فإن لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك، فإن لم يكن شريكاً له كان له معيناً وظهيراً، فإن لم يكن معيناً وظهيراً كان شفيعاً عنده. فنفى سبحانه المراتب الأربع نفياً مرتباً منتقلاً من الأعلى إلى الأدنى، فنفى الملك والشركة فيه، والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها للمـشرك، وهي الشفاعة بإذنه سبحانه. فكفى بهذه الآية نوراً وبرهاناً وتجريداً للتوحيد وقطعاً لأصول الشرك وموارده لمن عقلهـا. والقرآن العظيم مملوء من أمثالها ونظائرها، ولكن اكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع منهم تحته وتضمنه له، ويظنونها في نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثاً، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن. ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم أو فوقهم في =

قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عوناً للّه، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ: «أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده، لا يبدأ بالشفاعة أولاً، ثم يقال له: ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع» وقال أبو هريرة له ﷺ: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه». فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله. وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود. فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه.

«فيه مسائل»: الأولى: تفسير الآيات. الثانية: صفة الشفاعة المنفية. الثالثة: صفة الشفاعة المثبتة. الرابعة: ذكر الشفاعة الكبرى، وهي المقام المحمود. الخامسة: صفة ما يفعله ﷺ: أنه لا يبدأ بالشفاعة بل يسجد، فإذا أذن له شفع. السادسة: من أسعد الناس بها. السابعة: أنها لا تكون لمن أشرك بالله. الثامنة. بيان حقيقتها.

باب قول الله تعالى

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[1] الآية.

وفي الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال: «لما حضرت أبا طالب

= الضلالة والبدعة، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك». قال في الشرح: وهذا الذي ذكره هذا الإمام هو حقيقة دين الإسلام، كما قال سبحانه: ﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفاً واتخذ ابراهيم خليلاً﴾.

(١) تأتي الهداية بمعنى الدلالة بلطف على طريق النجاة والسعادة، وتأتي بمعنى =

الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل. فقال له: يا عم، قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله، فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا، فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال النبي ﷺ لأستغفرن لك ما لم أنه عنك، فأنزل الله عز وجل: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إنك لا تهدي من أحببت، ولكن الله يهدي من يشاء﴾».

«**فيه مسائل**»: الأولى: تفسير ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ الآية. الثانية: تفسير قوله ﴿ما كان للنبي﴾ الآية، الثالثة: وهو المسألة الكبيرة: تفسير قوله «قل لا إله إلا الله» بخلاف ما عليه من يدعي العلم(١). الرابعة: أن أبا جهل ومن

= التوفيق والتأييد، وهو خلق الهدى في قلب الضال. فمن الأول قوله تعالى: ﴿أهدنا الصراط المستقيم﴾ أي دلنا عليه وأرشدنا إليه ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾. ومن الثاني قوله تعالى: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ أي تخلق التوفيق والتأييد في قلب من أضله الله. والهداية الأولى عامة، والثانية خاصة بالله تعالى. وسبب نزول هذه الآية موت أبي طالب على ملة عبد المطلب كما في الحديث الآتي بعد. قال الحافظ بن كثير في تفسيره: يقول تعالى إنك يا محمد لا تهدي من أحببت، أي ليس إليك ذلك، إنما عليك البلاغ والله يهدي من يشاء وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، كما قال تعالى: ﴿ليس عليك هداهم ولكن اللّه يهدي من يشاء﴾. وكانت وفاة أبي طالب بمكة قبل الهجرة بقليل، وتوفيت خديجة أم المؤمنين رضي اللّه عنها بعده بثمانية أيام. ومن حكمة اللّه تعالى في عدم هداية أبي طالب إلى الإسلام ليبين لعباده أن ذلك إليه وهو القادر عليه دون سواه، فلو كان عند النبي ﷺ الذي هو أفضل خلقه، من هداية القلوب وتفريج الكروب ومغفرة الذنوب والنجاة من العذاب والخلاص من النار ونحو ذلك شيء، لكان أحق الناس بذلك وأولاهم به عمه أبو طالب، الذي كان يحوطه ويحميه وينصره ويأويه، فسبحان من بهرت حكمته العقول، وأرشد العباد إلى ما يدلهم على معرفته وتوحيده واخلاص العمل لله وتجريده، فليتنبه من يدعى النسب وهو عن الشرع من المعرضين، والله أعلم.

(١) لأن معنى «قل لا إله إلا الله» أي أخلص التوحيد لله وحده لا شريك له. لأن أبا

معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذ قال للرجل: «قل لا إله إلا الله» فقبح الله مَن أبو جهل اعلم منه بأصل الإسلام. الخامسة: جده ﷺ ومبالغته في اسلام عمه. السادسة: الرد على من زعم اسلام عبد المطلب وأسلافه. السابعة: كونه ﷺ استغفر له فلم يغفر له، بل نهي عن ذلك. الثامنة: مضرة اصحاب السوء على الإنسان. التاسعة: مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر. العاشرة: استدلال الجاهلية بذلك. الحادية عشرة: الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم، لأنه لو قالها لنفعته. الثانية عشرة: التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين، لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها، مع مبالغته ﷺ وتكريره، فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها.

باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

وقول الله عز وجل: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾(١).

= طالب كان يعلم بما دلت عليه من نفي الشرك بالله وإخلاص العبادة له وحده، فإن من قالها بعلم ويقين فقد بريء من الشرك والمشركين ودخل في الإسلام، ولأنهم كانوا يعلمون ما دلت عليه، وفي ذلك الوقت لم يكن بمكة إلا الإسلام أو الكفر، فلا يقولها إلا من ترك الشرك وبريء منه. ولقد جهل كثير من ادعياء العلم معنى «لا إله إلا الله» فيحكمون على كل من تلفظ بها بالإسلام ولو كان مجاهراً بالكفر والالحاد والزندقة، كاستحلال ترك الصلاة والصيام والزكاة وغير ذلك، مما علم حرمته من الدين ضرورة، ولا سيما في هذا العصر الذي قل فيه الموحدون حقيقة، وكثر فيه اهل البدع والالحاد. ويمرقون من الدين افواجاً افواجاً، كم كانوا يدخلون فيه افواجاً افواجاً فنسأل الله تأييد الطائفة الباقية المتمسكة بدينها الخالي من البدع والخرافات، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

(١) الغلو: هو التجاوز في الحد، ومنه غلا السعر، يغلو غلاء، نهى الله أهل الكتاب عن الغلو والاطراء، وهذا كثير من النصارى، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنه في قول الله تعالى: ﴿وقالوا: لا تذرن آلهتكم، ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾. قال: «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت»(١).

= رفعوه فوق المنزلة التي اعطاه الله اياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه الهاً من دون الله، يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في اتباعه وإشياعه ممن زعم انه على دينه، فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه، سواء أكان حقاً أم باطلاً أم ضلالاً أم رشاداً أم صحيحاً أم كذباً، ولهذا قال تعالى: ﴿اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله﴾ الآية، والمراد بالآية النهي لهم عن الإفراط تارة والتفريط اخرى، فمن الإفراط غلو النصارى في عيسى عليه السلام حتى جعلوه رباً، ومن التفريط غلو اليهود فيه عليه السلام حتى جعلوه لغير رشدة، وما احسن قول الشاعر:

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد   كلا طرفي قصد الأمور ذميم

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه، قال في فتح البيان: قال محمد بن كعب: هذه اسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح، فنشأ بعدهم قوم يقتدون بهم في العبادة، فقال لهم إبليس: لو صورتم صورهم كان أنشط لكم وأشوق إلى العبادة، ففعلوا، ثم نشأ قوم من بعدهم، فقال لهم ابليس: إن الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فاعبدوهم، فابتداء عبادة الأوثان كان من ذلك الوقت، وسميت هذه الصور بهذه الأسماء لأنهم صوروها على صور اولئك القوم. قال الماوردي: فأما (ود) فهو أول صنم معبود، سمي وداً لودهم له، وكان بعد قوم نوح لكلب بدومة الجندل في قول ابن عباس وعطاء ومقاتل، وفيه يقول شاعرهم:

حياك ود فإنا لا يحل لنا   لهو النساء وإن الدين قد غربا

وأما «سواع» فكان لهذيل بساحل البحر وأما «يعوق» فكان لغطيف من مراد بالجرف من سبأ في قول قتادة، وقال المهدوي: لمراد ثم لغطفان. واما «يغوث» فكان لهمدان في قول قتادة وعكرمة وعطاء، وقال الثعلبي: كان لكهلان ابن سبأ ثم توارثوه حتى صار في همدان، فيه يقول مالك بن نمط الهمداني:

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

وعن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله» أخرجاه[1].

وقال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو»[2]. ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثاً[3].

= يـريش الله في الـدنيـا ويبـدي ولا يـبـدي يعـوق ولا يـريش

واما «نسر» فكان لِذي الكلاع من حمير في قول قتادة ومقاتل. قال الواقدي: كان «ود» على صورة رجلٍ «وسواع» على صورة امرأة، «ويغوث» على صورة أسد، «ويعوق» على صورة فرس، «ونسر» على صورة النسر الطائر, اهـ باختصار والله أعلم.

(١) قوله: «لا تطروني» هو بضم أوله وسكون ثانيه من «الإطراء» وهو المبالغة في المدح والغلو. فالمعنى: لا تجاوزوا الحد في مدحي بغير الواقع فيجركم ذلك إلى الكفر كما جر النصارى إليه لما تجاوزوا الحد في مدح عيسى بغير الواقع واتخذوه إلهاً وحرفوا قوله في الإنجيل «عيسى نبي وأنا والدته»، يعني بتشديد اللام المفتوحة زعموا أن الأول بتقديم الباء الموحدة التحتية وخففوا لام الثاني، وقد ادعى البعض نحو ذلك في نبينا ﷺ حيث قالوا ألا نسجد لك فنهاهم. فما يدعيه فقراء الطرق الذين طمس الله بصائرهم في كونه ﷺ يعلم ما كان وما يكون من علم الغيب، وأنه يصرف في الدنيا بعد موته، ويزور من شاء، ويجوب مشارق الأرض ومغاربها، ويحضر مجالسهم مجالس المكاء والتصدية، غلط فـاحش، وجهل مركب، منشؤه الغلو وعدم المعرفة. وقوله «إنما أنا عبد» أي ملك الله يتصرف فيَّ بما يشاء وكيف شاء، فلا خروج لي عن دائرة العبودية بوجه، كسائر العباد، فلا تقولوا في حقي شيئاً ينافي العبودية والرسالة، والله أعلم.

(٢) رواه الإمام احمد بن حنبل في مسنده، والنسائي وابن ماجه والحاكم من حديث ابن عباس.

(٣) قال في الشرح: «وقال الخطابي: المتنطع، المتعمق في الشيء المتكلف البحث عنه على مذاهب اهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم. ومن التنطع الامتناع من المباح مطلقاً، كالذي يمتنع من اكل الخبز =

«فيه مسائل»: الأولى: أن من فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب. الثانية: معرفة أول شرك حدث في الأرض، أنه بشبهة الصالحين. الثالثة: أول شيء غير به دين الأنبياء وما سبب ذلك، مع معرفة أن الله ارسلهم. الرابعة: قبول البدع، مع كون الشرائع والفطر تردها. الخامسة: أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل، فالأول محبة الصالحين، والثاني: فعل اناس من اهل العلم شيئاً أرادوا به خيراً فظن من بعدهم انهم أرادوا به غيره. السادسة: تفسير الآية التي في سورة نوح. السابعة: جبلة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد. الثامنة: فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدع سبب الكفر. التاسعة: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل. العاشرة: معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو ومعرفة ما يؤول إليه. الحادية عشرة: مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح. الثانية عشرة: معرفة النهي عن التماثيل والحكمة في ازالتها. الثالثة عشرة: معرفة شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها. الرابعة عشرة: وهي أعجب، قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح افضل العبادات، فاعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال[1]. الخامسة عشرة: التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة. السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك. السابعة عشرة: البيان العظيم في قوله: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم» فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين. الثامنة عشرة: نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين. التاسعة عشرة: التصريح بأنها لم تعبد حتى نسي العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده ومضرة فقده. العشرون: أن سبب فقد العلم موت العلماء[2].

= واللحم ولبس الكتان والقطن ولا يلبس إلا الصوف ويمتنع من نكاح النساء، ويظن أنه من الزهد المستحب. قال شيخ الإسلام تقي الدين - أي ابن تيمية - «فهذا جاهل ضال». وقال النووي في شرح مسلم: «اي المتعمقون الغالون المجاوزن الحدود في اقوالهم وافعالهم».

(١) يعني اعتقدوا أن النهي قاصر على ما كان كفراً مبيحاً للدم والمال.

(٢) ولا شك أن بموت العلماء العالمين بأحكام الشريعة الغراء يفقد العلم ويذهب، ويبقى حثالة ادعياء ينسبون إلى العلم كذباً وميناً وهو منهم بريء.

باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟

في الصحيح عن عائشة: «أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة، وما فيها من الصور، فقال: أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح، أو العبد الصالح، بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله»(١). فهؤلاء جمعوا بين فتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

ولهما عنها قالت: «لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خَمِيصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال، وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً» أخرجاه(٢).

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في غير موضع من صحيحه ومسلم والنسائي. وقوله «أم سلمة» هي أم المؤمنين رضي الله عنها، واسمها هند على الأصح، بنت أبي أُمية المخزومية، هاجر بها زوجها أبو سلمة إلى الحبشة، فلما رجعا إلى المدينة مات زوجها فتزوجها رسول الله ﷺ وقوله «كنيسة» هي بفتح الكاف معبد النصاري. وقوله «أولئك» بكسر الكاف في الموضعين والإشارة إلى البانين علي قبور صالحيهم المساجد، والخطاب لأم سلمة زوج النبي ﷺ. قوله «شرار الخلق» بكسر الشين جمع «شر» كالخيار جمع «خير» وإنما كانوا شرار الخلق لأنهم ضلوا الطريق المستقيم فأضلوا وسنوا لمن بعدهم الغلو في قبور صالحيهم حتى أفضى بهم إلى عبادتها، وهذا عام في كل من فعل فعلهم من هذه الأمة، يتبع سنن من كان قبلها من المشركين، فنسأل الله السلام والنجاة من ذلك.

(٢) وأخرجه أيضاً النسائي في سننه، قوله «لما نزل» على صيغة المعلوم في رواية أبي ذر، وفاعله محذوف، أي لما نزل الموت، وفي رواية غيره بضم النون وكسر الراء على صيغة المجهول. وقوله «طفق» جواب لما، أي جعل. والخميصة: كساء له أعلام. وقوله «إذا اغتم بها كشفها» أي إذا احتبس نفسه عن الخروج كشفها عن وجهه. وقوله «فقال وهو كذلك» أي على تلك الحال، وهي حال الطرح والكشف. وقوله «يحذر ما صنعوا» الخ، هو من كلام الراوي لا من كلام الرسول =

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ ابراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك[1]» فقد نهى عنه في آخر حياته ثم إنه لعن وهو في السياق من فعله. والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يبن مسجد، وهو معنى قولها «خشي أن يتخذ مسجداً» فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً، كما قال ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً». ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «إن من شرار

= ﷺ، وإنما كان يحذرهم من ذلك الصنيع لئلا يفعل بقبره مثله، ولعل الحكمة في ذلك أنه يصير بالتدريج شبيهاً بعبادة الأصنام، كما هو حاصل الآن في هذا الزمان من مغالاتهم في قبور صلحائهم والتمسح بها والطواف حولها وتقبيل جوانبها والسجود لها، لا سيما بمصر بلاد الفراعنة. فنسأل الله العصمة من ذلك.

(١) قال النووي في شرح مسلم: معنى أبرأ أي امتنع من هذا وأنكره. والخليل هو المنقطع إليه، وقيل المختص بشيء دون غيره، قيل هو مشتق من الخلة بفتح الخاء وهي الحاجة، وقيل، من الخلة بضم الخاء وهي تخلل المودة في القلب، فنفى ﷺ أن تكون حاجته وانقطاعه إلى غير الله تعالى، وقيل الخليل من لا يتسع القلب لغيره. قال العلماء: إنما نهى النبي ﷺ عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً خوفاً من المبالغة في تعظيمه والافتتان به فربما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية. ولما احتاجت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والتابعون إلى زيادة في مسجد رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها مدفن رسول الله ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، بنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله، لئلا يظهر في المسجد فيصلي إليه العوام ويؤدي إلى المحذور، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا، حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر، ولذا قيل في الحديث: «ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً».

الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد» ورواه أبو حاتم في صحيحه.

«فيه مسائل»: الأولى: ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجداً يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح، ولو صحت نية الفاعل. الثانية: النهي عن التماثيل وغلظ الأمر في ذلك. الثالثة: العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك كيف بين لهم هذا أولاً، ثم قبل موته بخمس قال ما قال، ثم لما كان في السياق لم يكتف بما تقدم. الرابعة: نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر. الخامسة: أنه من سنن اليهود والنصارى الغُلُوّ في قبور أنبيائهم. السادسة: لعنه إياهم على ذلك. السابعة: أن مراده تحذيره إيانا عن قبره. الثامنة: العلة في عدم إبراز قبره. التاسعة: في معنى اتخاذها مسجداً. العاشرة: أنه قرن بين من اتخذها وبين من تقوم عليه الساعة، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته. الحادية عشرة: ذكره في خطبته قبل موته بخمس الرد على الطائفتين اللتين هما أشر[1] أهل البدع، بل أخرجهم بعض أهل العلم من اثنتين وسبعين فرقة، وهم الرافضة والجهمية، وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد. الثانية عشرة: ما بلى به ﷺ من شدة النزع. الثالثة عشرة: ما أكرم به من الخلة. الرابعة عشرة: التصريح بأنها أعلى من المحبة. الخامسة عشرة: التصريح بأن الصدّيق أفضل الصحابة. السادسة عشرة: الإشارة إلى خلافته.

باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله

روى مالك في الموطأ: أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[2].

---

(١) الصحيح في استعمال أفعل التفضيل من الشر والخير «شر وخير» بدون همزة، فكان الأحسن هنا حذفها موافقة للحديث، هكذا قال بعضهم، أقول: جاء الوجهان في الحديث، إلا أن الحذف أكثر، والله أعلم.

(٢) قد استجاب الله جل وعلا دعاء نبيه ﷺ كما قال ابن القيم:

ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: (أفرأيتم اللات والعزى) قال: كان يلت لهم السويق، فمات، فعكفوا على قبره. وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يلت السويق للحاج[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج» رواه أهل السنن[2].

= فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى غدت أرجاؤه بدعائه في عزة وحماية وصيان

والحديث يدل على أن قبر النبي ﷺ لو عبد لكان وثناً، لكن حماه الله تعالى بما حال بينه وبين الناس، فلا يوصل إليه. وقد تقدم قريباً بيان ذلك نقلاً عن النووي فارجع إليه، وقد عظمت الفتنة بالقبور بتعظيمها وعبادتها حتى اتخذت ديناً ربِّي عليها الصغير وشاب عليها الكبير، يرى تغييرها بدعة وفعلها سنة، ويحقق قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كيف أنكم إذا ألبستم فتنة يهرم فيها الكبير وينشأ عليها الصغير، تجري على الناس يتخذونها سنة، إذا غيرت قيل غيرت السنة. وقوله: «اشتد غضب الله» الخ. يدل على تحريم البناء على القبور وتحريم الصلاة عندها وأن ذلك من الكبائر، وقد روي عن الإمام مالك امام دار الهجرة أنه كره أن يقول: زرت قبر النبي ﷺ، وعلل ذلك بقوله ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد» الحديث. كره رضي الله عنه اضافة هذا اللفظ إلى القبر لئلا يقع التشبه بفعل أولئك، سداً للذريعة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ومالك قد أدرك التابعين، وهم أعلم الناس بهذه المسألة، فدل ذلك على أنه لم يكن معروفاً عندهم ألفاظ زيارة قبر النبي ﷺ.

(١) قوله: «اللات والعزى» تقدم الكلام عليهما فيما سبق. والسويق: دقيق الحنطة أو الشعير، ولته: بله بالسمن أو الماء. وقوله: «كان يلت السويق للحاج» أي للحجاج. أو المعنى أن اللات كان رجلاً صالحاً يطعم الحجاج السويق فلما مات غلوا فيه لصلاحه، فعكفوا على قبره حتى عبدوه، وصار قبره وثناً من أوثان المشركين، نسأل الله سلامة هذه الأمة ونجاتها، مما تفعل بصالحيها من الغلو والعكوف على قبورهم وطلب ما يختص بالله تعالى من جلب نفع وضر. لا سيما ما يقع في مصر والعلماء ساكتون، إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٢) اللعن: الطرد عن رحمة الله تعالى. وقوله: «زائرات القبور» جمع زائرة، وفي رواية: «زوارات القبور». وهو يدل على تحريم زيارة النساء القبور، وبه قال كثير

«فيه مسائل»: الأولى: تفسير الأوثان. الثانية: تفسير العبادة. الثالثة: أنه

=

من العلماء. وفي الباب أحاديث كثيرة تدل على تحريم زيارة القبور للنساء، منها ما روى أبو داود والحاكم عن ابن عمر «أن النبي ﷺ رأى فاطمة ابنته فقال: ما اخرجك من بيتك؟ فقالت: أتيت اهل هذا الميت فرحمت على ميتهم، فقال لها فلعلك بلغت معهم الكدى؟ قالت: معاذ الله وقد سمعتك تذكر فيها ما تذكر، قال: لو بلغت معهم الكدى ـ فذكر تشديداً في ذلك ـ فسألت ربيعة: ما الكدى فقال القبور فيما احسب». وفي رواية: «لو بلغت الكدى ما رأيت الجنة حتى يراها ابيك» قال الحاكم: صحيح الإسناد على الشيخين ولم يخرجاه. وروى ابن ماجه عن علي رضي الله عنه قال: «خرج رسول الله ﷺ فإذا نسوة جلوس، قال: ما يجلسكن؟ قلن: ننتظر الجنازة، قال: هل تغسلن؟ قلن: لا، قال: هل تحملن؟ قلن: لا، قال: تدلين فيمن يدلي؟ قلن: لا، قال: فارجعن مأزورات غير مأجورات». ورواه أبو يعلى من حديث أنس. وقد ذهب جماعة اهل العلم إلى أن النساء لم يدخلن في الإذن في زيارة القبور، لأن قوله عليه الصلاة والسلام: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإن فيها عبرة» صيغة تذكير لا يتناول النساء إلا تغليباً. ولو كن داخلات في هذا الخطاب لاستحب لهن زيارة القبور، وما علمنا أحداً من الأئمة استحب لهن زيارة القبور، ولا كان النساء على عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين يخرجن إلى زيارة القبور. وأيضاً فإن النبي ﷺ علل الإذن للرجال كما في بعض الروايات في مسند احمد بأن ذلك يذكر الموت ويرقق القلب وتدمع العين. ومعلوم أن المرأة إذا فتح لها هذا الباب اخرجها إلى الجزع والندب والنياحة لما فيها من الضعف وقلة الصبر. قال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب: «قد كان النبي ﷺ نهى عن زيارة القبور نهياً عاماً للرجال والنساء، ثم اذن للرجال في زيارتها، واستمر النهي في حق النساء». اقول: ويكون الإذن في زيارة القبور مخصوصاً بالرجال، خص بهذا الحديث. فيكون من العام المخصوص. وقوله: «والمتخذين عليها المساجد» ظاهره انهم كانوا يجعلونها مساجد يصلون فيها، وقيل هو أعم من الصلاة عليها وفيها. وقد اخرج مسلم ان النبي ﷺ قال «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها أو عليها»، «والسرج» جمع سراج، أي يوقدون عليها السرج كما يفعله اهل زماننا، قال ابو محمد المقدسي. لو ابيح اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله، لأن فيه تضييعاً للمال في غير فائدة، وافراطاً في تعظيم القبور اشبه تعظيم الأصنام. قال العلامة شمس الدين بن القيم «اتخاذها مساجد وإيقاد السرج عليها من الكبائر».

ﷺ لم يستعذ إلا بما يخاف وقوعه. الرابعة: قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد. الخامسة: ذكر شدة الغضب من الله. السادسة: وهي من اهمها، صفة معرفة عبادة اللات، التي هي اكبر الأوثان. السابعة: معرفة أنه قبر رجل صالح. الثامنة: أنه اسم صاحب القبر، وذكر معنى التسمية. التاسعة: لعنه زوارات القبور. العاشرة: لعنه من أسرجها.

باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل الى الشرك[1]

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ﴾[2] الآية.

---

(١) الجناب: هو الجانب، والمراد حمايته ﷺ عما يقرب منه أو يخالفه من الشرك وأسبابه.

(٢) قال القاضي عياض في كتابه الشفاء في تعريف حقوق المصطفى ﷺ: «أعلم الله تعالى المؤمنين أو العرب أو اهل مكة أو جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب: أنه بعث فيهم رسولاً من أنفسهم، يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون صدقة وأمانته، فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم، وأنه لم تكن في العرب قبيلة ألا ولها على رسول الله ﷺ ولادة أو قرابة. ثم وصفه بعد بأوصاف حميدة وأثنى عليه بمحامد كثيرة، من حرصه على هدايتهم ورشدهم وإسلامهم وسده ما يعنتهم ويضربهم في دنياهم وأخراهم وعزته عليه ورأفته ورحمته بمؤمنيهم اهـ المواد منه. وقال الحافظ بن كثير في تفسيره: يقول الله تعالى ممتناً على المؤمنين بما ارسل إليهم رسولاً من أنفسهم أي من جنسهم وعلى لغتهم كما قال ابراهيم عليه السلام: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم﴾. وقال تعالى: ﴿لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾ وقال تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾. أي منكم وبلغتكم، كما قال جعفر بن أبي طالب للنجاشي، والمغيرة بن شعبة لرسول كسرى إن الله بعث فينا رسولاً منا نعرف نسبه وصفته ومدخله ومخرجه وصدقه وأمانته، الحديث. وقوله تعالى: ﴿عزيز عليه ما عَنِتُّم﴾ أي يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها، وبهذا =

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم». رواه أبو داود بإسناد حسن ورواته ثقات[(١)]. وعن علي بن الحسين رضي الله عنه: «أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً فإن تسليمكم ليبلغني أينما كنتم» رواه في المختارة[(٢)].

= جاء في الحديث المروي من طرق عنه أنه قال: «بعثت بالحنيفية السمحة». وفي الصحيح: «إن هذا الدين يسر» وشريعته كلها سهلة سمحة كاملة يسيرة على من يسرها الله تعالى عليه. «حريص عليكم» أي على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم. اهـ ببعض تصرف.

(١) قوله: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً» قال شيخ الإسلام ابن تيمية: أي لا تعطلوها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري العبادة في البيوت ونهى عن تحريها عند القبور، عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبه بهم من هذه الأمة. وفي الصحيحين عن ابن عمر مرفوعاً: «اجعلوا صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً». وفي صحيح مسلم عن ابن عمر أيضاً مرفوعاً: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإن الشيطان يفر من البيت الذي يسمع سورة البقرة تقرأ فيه» وقوله: «ولا تجعلوا قبري عيداً» قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان، مأخوذ من المعودة والاعتياد، فإذا كان اسماً للمكان فهو المكان الذي يقصد فيه الاجتماع وانتيابه للعبادة وغيرها، كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها الله عيداً للحنفاء ومثابة، كما جعل أيام العيد فيها عيداً، وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية، فلما جاء الله بالإسلام أبطلها وعوض الحنفاء منها. عيد الفطر وعيد النحر وأيام منى، كما عوض عن اعياد المشركين المكانية بالكعبة ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر. وقوله: «وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم» يشير بذلك إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام عليّ يحصل مع قربكم وبعدكم، فلا حاجة لكم إلى اتخاذه عيداً تنتابونه وتترددون إليه لأجل ذلك، والله أعلم.

(٢) قوله: «إلى فرجة»، بضم الفاء وسكون الراء، هي الكوة في الجدار والخوخة =

«فيه مسائل»: الأولى: تفسير آية براءة. الثانية: إبعاده أمته عن هذا

= ونحوهما. وقوله: «فيدخل فيها فيدعو فنهاه» يدل على منع قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها. قال شيخ الإسلام رحمه الله: ما علمت أحداً رخص فيه. لأن ذلك نوع من اتخاذه عيداً، وأيضاً قصد القبر للسلام غير مشروع، لذلك كره مالك لأهل المدينة كلما دخل الإنسان المسجد أن يأتي قبر النبي ﷺ، لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، وكان الصحابة والتابعون رضي الله عنهم يأتون إلى مسجد النبي ﷺ فيصلون، فإذا قضوا الصلاة قعدوا أو خرجوا، ولم يكونوا يأتون القبر للسلام، لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه في الصلاة اكمل وافضل. وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك أو للصلاة والدعاء فلم يشرعه لهم، بل نهاهم في قوله «لا تتخذوا قبري عيداً وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني» فبين أن الصلاة تصل إليه من بعد، وكذلك السلام. ولعن من اتخذ قبور الأنبياء مساجد، وكانت الحجرة في زمانهم يدخل إليها من الباب، إذ كانت عائشة رضي الله عنها فيها. وبعد ذلك بني الحائط الآخر، وهم مع ذلك التمكن من الوصول إلى قبره لا يدخلون عليه، لا للسلام، ولا للصلاة ولا للدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم، ولا لسؤال عن حديث أو علم ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتى يسمعهم كلاماً أو سلاماً فيظنون أنه هو كلمهم وأفتاهم وبين لهم الأحاديث، أو أنه قد رد عليهم السلام بصوت يسمع من خارج، كما طمع الشيطان في غيرهم فأضلهم عند قبره وقبر غيره، حتى ظنوا أن صاحب القبر يأمرهم وينهاهم ويفتيهم ويحدثهم في الظاهر، وأنه يخرج من القبر ويرونه خارجاً من القبر، ويظنون أن نفس أبدان الموتى خرجت تكلمهم، وأن روح الميت تجسدت لهم فرأووها. كما رآهم ﷺ ليلة المعراج، والمقصود أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يعتادون الصلاة والسلام عليه عند قبره كما يفعله من بعدهم من الخلوف، وإنما كان يأتي من خارج فيسلم عليه إذا قدم من سفر، كما كان ابن عمر يفعله، قال عبيد الله بن عمر عن نافع: كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا ابا بكر، السلام عليك يا ابتاه، ثم ينصرف. قال عبيد الله: ما نعلم احداً من اصحاب النبي ﷺ فعل ذلك إلا ابن عمر اهـ من فتح المجيد ببعض تصرف.
وقوله: «في المختارة» هو اسم كتاب في الحديث جمع فيه مؤلفه، الإمام العلامة ابو عبد الله محمد بن عبد الله المقدسي الحافظ ضياء الدين احد الأعلام، الأحاديث الجياد الزائدة على الصحيحين. قال الإمام الذهبي في ترجمته: افنى =

الحمى غاية البعد. الثالثة: ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته. الرابعة: نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص، مع أن زيارته من أفضل الأعمال. الخامسة: نهيه عن الإكثار من الزيارة. السادسة: حثه على النافلة في البيت. السابعة: أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى في المقبرة. الثامنة: تعليل ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب. التاسعة: كونه ﷺ في البرزخ تعرض أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه.

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان[1]

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِينَ أُوتُوا نصيباً مِنَ الكِتابِ يُؤْمِنُونَ بالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ هلْ أُنَبِّئُكُمْ

= عمره في هذا الشأن مع الدين المتين والورع والفضيلة التامة والاتقان. فالله يرحمه ويرضى عنه، والله اعلم.

(١) الأوثان: جمع وثن، يطلق على كل ما قصد بنوع من أنواع العبادة من دون الله، صورة كان أو غير صورة. قال صاحب النهاية: وقد يطلق الوثن على غير الصورة، ومنه حديث عدي بن حاتم «قدمت على النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال لي ألق هذا الوثن». فلذلك أطلقه بعضهم على القبور والمشاهد وغيرها، واستدل بقول الخليل عليه السلام: ﴿إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً﴾ مع قوله: ﴿قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين﴾ وقوله: ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾، والله أعلم.

(٢) أما الجبت فيطلق على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك، قال الجوهري في الصحاح: والطاغوت الشيطان في صورة إنسان يتحاكمون إليه وهو صاحب أمرهم. وقال الإمام مالك: كل ما يعبد من دون الله عز وجل. وبقية الآية هو قوله تعالى: ﴿ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً﴾ قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: أي يفضلون الكفار على المسلمين بجهلهم وقلة دينهم وكفرهم بكتاب الله الذي بأيديهم. وقد روى ابن أبي حاتم بسنده إلى عكرمة قال: جاء يحيى بن أخطب وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة، فقالوا لهم: أنتم =

بِشرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عند اللّه، مَنْ لَعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عليه، وَجَعَلَ مِنْهمُ القِرَدَةَ والخنازيرَ وعبَدَ الطَّاغُوت﴾[1] وقوله: ﴿قال الَّذِينَ غَلَبُوا على أَمْرِهم لَنَتَّخِذَنَّ عليهم مَسْجداً﴾[2].

= أهل الكتاب وأهل العلم فأخبرونا عنا وعن محمد؟ فقالوا: ما أنتم ومحمد؟ فقالوا: نحن نصل الأرحام وننحر الكوماء ونسقي الماء على اللبن ونفك العاني ونسقي الحجيج، ومحمد صنبور، قطع أرحامنا واتبعه سراق الحجيج من غفار، فنحن خير أم هو؟ فقالوا: أنتم خير وأهدى سبيلاً، فأنزل الله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً﴾ الآية.

(1) قال الحافظ بن كثير: أي هل أخبركم بشر من ذلك مثوبة عند الله، أي هل أخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة مما تظنونه بنا وهم وأنتم الذين تتصفون بهذه الصفات المفسرة بقوله: من لعنه أي أبعده من رحمته، وغضب عليه أي غضباً لا يرضى بعده أبداً، وجعل منهم القِرَدة والخنازير. وعن ابن مسعود قال: «سئل رسول الله ﷺ عن القِرَدة والخنازير: أهي مما مسخ الله؟ فقال: إن الله لم يهلك قوماً، أو قال: لم يمسخ قوماً فيجعل لهم نسلاً ولا عقباً، وإن القِرَدة والخنازير كانت قبل ذلك» رواه مسلم. وهذه الآية جواب لقولهم لم نرَ أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم ولا ديناً شراً من دينكم والقردة أصحاب السبت، والخنازير كفار مائدة عيسى. وقد روي عن ابن عباس إن الذين مسخوا كلاهما من أصحاب السبت، فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وقوله «وعبد الطاغوت» أي وجعل منهم من عبد الطاغوت أي اطاع الشيطان فيما سول له. وقد ورد فيه قراءات كثيرة يرجع معناها إلى انكم يا اهل الكتاب الطاعنين في ديننا الذي هو توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة دون ما سواه، كيف يصدر منكم هذا وأنتم قد وجد منكم جميع ما ذكر؟ ولهذا قال في آخر الآية: ﴿أولئك شر مكاناً﴾ أي مما تظنون بنا ﴿وأضل عن سواء السبيل﴾. وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر مُشارَكة، كقوله عز وجل ﴿أصحاب الجنة يومئذٍ خير مستقراً وأحسن مقيلاً﴾ والله أعلم.

(2) قوله: ﴿الذين غلبوا على امرهم﴾ الذي قال ذلك اصحاب الكلمة والنفوذ في زمن أصحاب الكهف، أي قالوا نتخذ على اصحاب الكهف مسجداً ليعرفوا فتقصدهم الناس ويتبركوا بهم، كما يفعله غالب جهال المسلمين الآن وبعض خواصهم، وهذا على جهة الذم لهم بدليل قوله ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور =

عن أبي سعيد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم، حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن»[1] أخرجاه. ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد، إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك: أن لا أهلكهم بسنة بعامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون

= انبيائهم وصالحيهم مساجد، يحذر ما فعلوا» وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه لما وجد قبر دانيال في زمانه بالعراق امر أن يخفى عن الناس وأن تدفن تلك الرقعة التي وجدوها عنده فيها شيء من الملاحم وغيرها، والله اعلم.

(١) قوله: «لتتبعن سنن» بفتح السين المهملة، أي طريق من كان قبلكم. وقوله: «حذو القذة بالقذة» بنصب «حذو» على المصدر، و «القذة» بضم القاف، واحدة القذاذ، وهو ريش السهم، أي لتتبعن طريقهم في كل ما فعلوه وتشبهوهم في ذلك كما تشبه قذة السهم القذة الأخرى. فوقع كما اخبر ﷺ، وهو علم من اعلام النبوة. وقوله: «حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» وفي حديث آخر: «حتى لو كان فيهم من يأتي امه علانية لكان من امتي من يفعل ذلك». اراد ﷺ أن امته لا تدع شيئاً مما كان يفعله اليهود والنصارى إلا فعلته كله لا تترك منه شيئاً، ولهذا قال ابن عيينة: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى. وقوله: «قال فمن» استفهام تقرير، أي فمن هم غير أولئك. ولا يخفى على العاقل انه لو تتبع افعال الناس الذين يدعون مسلمين الآن لرأى غالبهم ليسوا على شيء من صفات المسلمين، لا في المأكل والمشرب والملبس، ولا في العبادات، بل عبادتهم مشوبة بأشياء من أعمال المجوس والمشركين، وعوائدهم تشبه عوائد اليهود والنصارى، ولا واعظ ولا زاجر يمنعهم من ذلك ويحذرهم عاقبته. نسأل الله صلاح الأمة وصلاح قادتها من امراء وعلماء وأئمة، وإلا فعلى الإسلام والمسلمين السلام.

بعضهم يهلك بعضاً «ويسبى بعضهم بعضاً». ورواه البـرقـاني[1] في

---

(١) قوله: «زوى لي الأرض» أي جمع، يقال «زويت الشيء» جمعته وقبضته، يريد تقريب البعيد منها حتى اطلع عليه اطلاعه على القريب، بأن طويت له الأرض وجعلت مجموعة كهيئة كف في مرآة ينظره، فأبصر ما تملكه امته من أقصى مشارق الأرض ومغاربها. وقولـه: «وإن امتي سيبلغ ملكها مـا زوى لي» قال القرطبي: هذا الخبر وجد مخبره كما قال ﷺ، وكان ذلك من دلائل نبوته، وذلك أن ملك امته اتسع إلى أن بلغ اقصى طنجة الذي هو منتهى عمارة المغرب، إلى اقصى المشرق مما وراء خراسان والنهر وكثير من بلاد السند والهند والصغد، ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال، ولذلك لم يذكر عليه السلام أنه أريه ولا اخبر أن ملك أمته يبلغه. قوله: «وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض» قال القرطبي: يعني به كنز كسرى وهو ملك الفرس، وكنز قيصر وهو ملك الروم، وقصورهما وبلادهما. وقد قال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله» وعبر بـالأحمر عن كنـز قيصر، لأن الغـالب عندهم كـان الذهب، وبالأبيض عن كنز كسرى، لأن الغالب عنده كان الجوهر والفضة، ووجد ذلك في خلافة عمر، فإنه سيق إليه تاج كسرى وحليته وما كان في بيوت أمواله وجميع ما حوته مملكته على سعتها وعظمتها، وكذلك فعل الله بقيصر. وقوله: «واني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة» هكذا ثبت في اصل المصنف رحمه الله «بعامة» بالباء كما قاله صاحب فتح المجيد وهي روايـة صحيحة في صحيـح مسلم، وفي بعضها بحذفها. قال القرطبي: وكأنها زيادة، لأن «عامة» صفة السنة، والسنة: الجدب الذي يكون به الهلاك العام، ويسمى الجدب والقحط سنة، ويجمع على سنين، كما قال تعالى: ﴿ولقد اخذنـا آل فرعـون بالسنين﴾ أي الجدب المتوالى. وقوله: «من سوى انفسهم» أي من غيرهم من الكفار من هلاك بعضهم بعضاً وسبي بعضهم بعضاً، وقد حصل ذلك ومن اراد تفاصيل ما وقع فعليه بكتب التاريخ، ففيها التفصيل والبيان. نسأل الله السلامة والتوفيق. وقوله «فيستبيح بيضتهم» قال الجوهري: بيضة كل شيء حوزته وبيضة القوم ساحتهم وعلى هذا فيكون معنى الحديث أن الله لا يسلط العدو على كافة المسلمين حتى يستبيح جميع ما حازوه في البلاد والأرض ولو اجتمع عليهم من بأقطار الأرض وهي جوانبها وقوله: «حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضـاً» الظاهر أن «حتى» عاطفة أو تكون لانتهاء الغاية، أي أن امر الأئمة ينتهي إلى أن يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً وقد سلط الله بعضهم على بعض =

صحيحه، وزاد: «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى»[1]

= كما هو حاصل وواقع الآن لكثرة اختلافهم وتفرقهم وحبهم المناصب والرياسة وجمعهم المال وعدم الرجوع إلى الأمر البين من الدين، نسأل الله السلامة.
وقوله: «وإن ربي قال: يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد» يعني إذا حكمت حكماً مبرماً نافذاً فإنه لا يرد بشيء ولا يقدر احد على رده، كما قال ﷺ: «ولا راد قضيت»، والله أعلم.

والبرقاني هو الإمام الحافظ الكبير أبو بكر احمد بن محمد بن غالب الخوارزمي ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، وتوفي سنة خمس وعشرين واربعمائة. قال الخطيب: كان ثبتاً ورعاً لم نرَ في شيوخنا أثبت منه، عارفاً بالفقه كثير التصانيف صنف مسنداً ضمنه ما اشتمل عليه الصحيحان، وجمع حديث الثوري وحديث شعبة وطائفة. وهذا الحديث رواه أبو داود بتمامه بسنده إلى أبي قلابة.

(١) قوله: «وإنما أخاف على امتي الأئمة المضلين» أراد ـ والله أعلم ـ الأمراء والعلماء والعباد، فيحكمون فيهم بغير علم فيضلونهم، كما قال تعالى: ﴿وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾، وكان بعض هؤلاء يقول لإصحابه: من كان له حاجة فليأت إلى قبري فإني اقضيها له، ولا خير في رجل يحجبه عن اصحابه ذراع من تراب، ونحو هذا، وهذا هو الضلال البعيد، يدعو اصحابه إلى أن يعبدوه من دون الله ويسألوه ما لا يقدر عليه من قضاء حاجياتهم وتفريج كرباتهم، وقد قال تعالى: ﴿يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد، يدعو لمن ضره اكبر من نفعه﴾ الآية. قال في فتح المجيد: ومن هذا الضرب من يدعي أنه يصل مع الله إلى حال تسقط عنه التكاليف، ويدعي أن الأولياء يدعون ويستغاث بهم في حياتهم ومماتهم، وأنهم ينفعون ويضرون ويدبرون الأمور على سبيل الكرامة، وأنه يطلع على اللوح المحفوظ ويعلم أسرار الناس وما في ضمائرهم، ويجوز بناء المساجد على قبور الأنبياء والصالحين =

«فيه مسائل»: الأولى: تفسير آية النساء. الثانية: تفسير آية المائدة[١]. الثالثة: تفسير آية الكهف[٢]. الرابعة: وهي أهمها، ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت. هل هو اعتقاد قلب، أو هو مُوافَقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها؟ الخامسة: قولهم أن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلاً من المؤمنين. السادسة: وهي المقصود بالترجمة، أن هذا لا بدّ أن يوجد في هذه الأمة، كما تقرر في حديث أبي سعيد. السابعة: التصريح بوقوعها، أعني عبادة الأوثان، في هذه الأمة، في جموع كثيرة. الثامنة: العجب العجاب خروج من يدعي النبوة مثل المختار[٣]، مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه بأنه من هذه الأمة وأن

= وإيقادها بالسرج، ونحو ذلك من الغلو والإفراط والعبادة لغير الله اهـ، وقوله «وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة» وقد وقع ذلك، فإن السيف لما وقع بقتل عثمان رضي الله عنه وأرضاه لم يرفع، وكذلك يقوم إلى يوم القيامة، ولكن قد يكثر تارة ويقل أخرى، ويكون في جهة ويرتفع عن أخرى. وقوله «ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أُمتي بالمشركين» الحي واحد الأحياء وهي القبائل، وفي رواية أبي داود «حتى يلحق قبائل من أُمتي بالمشركين» والمعنى أنهم يكونون معهم ويرتدون برغبتهم من أهل الإسلام ويلحقون بأهل الشرك، وقوله: «حتى تعبد فئام» الخ، الفئام: هم الجماعات الكثيرة، قاله صاحب النهاية، وسيفسره المصنف بعد. وفي رواية أبي داود «حتى تعبد قبائل من أُمتي الأوثان» وتقدم لك فيما سبق أن الوثن يطلق على كل ما يتخذ قربة من دون الله. غلب الشرك على اكثر النفوس، لظهور الجهل وخفاء العلم، حتى صار المعروف منكراً والمنكر معروفاً والسنة بدعة والبدعة سنة، وطمست الأعلام واشتدت غربة الإسلام، وقل العلماء وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر واشتد البأس، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ولكن ما تزال طائفة من الأمة المحمدية قائمة بالحق لا يضرها من خالفها حتى يأتي أمر الله، والله أعلم.

(١) آية النساء هي قوله تعالى: ﴿ألم ترَ إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ وآية المائدة هي قوله تعالى: ﴿قل: هل أنبئكم﴾ الخ.

(٢) هي قوله تعالى. ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً﴾.

(٣) هو ابن ابي عبيد الثقفي، خرج وغلب على الكوفة في اول خلافة ابن الزبير وأظهر محبة اهل البيت، ودعا الناس إلى طلب قتلة الحسين فتتبعهم فقتل كثيراً ممن باشر ذلك وأعان عليه، فأحبه الناس، ثم ادعى النبوة وزعم أن جبريل عليه =

الرسول حق وأن القرآن حق، وفيه أن محمداً خاتم النبيين، ومع هذا يصدق في هذا كله مع التضاد الواضح، وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة وتبعه فئام كثيرة. التاسعة: البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى، بل لا تزال عليه طائفة. العاشرة: الآية العظمى، أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم. الحادية عشرة: أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة. الثانية عشرة: ما فيهن من الآيات العظيمة، منها: إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب، وأخبر بمعنى ذلك. فوقع كما أخبره، بخلاف الجنوب والشمال، وإخباره بأنه أعطي الكنزين، وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين، وإخباره بأنه منع الثالثة، وإخباره بوقوع السيف وأنه لا يرفع إذا وقع، وإخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة، وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة وكل هذا وقع كما أخبر، مع أن كل واحدة منها من أبعد ما يكون في العقول. الثالثة عشرة: حصر الخوف على أمته من الأئمة المضلين. الرابعة عشرة: التنبيه على معنى عبادة الأوثان.

باب ما جاء في السحر(١)

وقول الله تعالى: ﴿ولقد عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي

= السلام يأتيه. وقد ادعى النبوة غيره ايضاً من الرجال والنساء، فمن ادعى ذلك في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام، مسيلمة الكذاب، فإنه ادعى النبوة باليمامة، والأسود العنسي باليمن، وفي زمن خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه طليحة ابن خويلد في بني اسد بن خزيمة وسجاح في بني تميم، وقتل الأسود قبل أن يتوفي النبي ﷺ، ومسيلمة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، قتله وحشي قاتل حمزة يوم أحد، وشاركه في قتله يوم اليمامة رجل من الأنصار، وتاب طليحة ومات على الإسلام في زمن عمر رضي الله عنه، ونقل أن سجاح تابت أيضاً. وممن ادعى النبوة أيضاً الحرث الكذاب، خرج في خلافة عبد الملك بن مروان فقتل، وخرج في خلافة بني العباس جماعة أيضاً، وقد أهلك الله تعالى من وقع له منهم ذلك، والله أعلم.

(١) السحر في اللغة عبارة عما خفي ولطف سببه، كما قاله ابن كثير. ولهذا جاء في =

الآخرةِ مِنْ خلاقٍ﴾(١). وَقَوْله: ﴿يُؤ مِنُونَ بِالجِبْتِ والطَّاغُوتِ﴾.

= الحديث «إن من البيان لسحراً» وسمي السحر سحراً لأنه يقع خفياً آخر الليل. قال ابو محمد المقدسي في الكافي: السحر عزائم ورقي وعقد تؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه. قال الله تعالى: ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ وقال سبحانه: ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾ يعني السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن وينفثن في عقدهن، ولولا أن للسحر حقيقة لم يأمر بالاستعاذة منه. وقد روى البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «إن النبي ﷺ سحر حتى أنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، وأنه قال لها ذات يوم: أتاني ملكان فجلس احدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال: ما وجع الرجل قال: مطبوب، قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم في مشط ومشاطة في جف طلعة ذكر في بئر ذروان».

(١) قال الحافظ بن كثير في تفسيره: أي ولقد علم اليهود الذين استبدلوا بالسحر عن متابعة الرسول ﷺ لمن فعل فعلهم ذلك انه ما له في الآخرة من خلاق: قال ابن عباس ومجاهد والسدي: من نصيب. وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: ما له في الآخرة من جهة عند الله. وقال عبد الرزاق: وقال الحسن: ليس له دين. وقال سعيد عن قتادة: (ما له في الآخرة من خلاق) قال: ولقد علم اهل الكتاب فيما عهد الله إليهم أن الساحر لا خلاق له في الآخرة اهـ. وقد نقل عن ابن هبيرة من كتابه الإشراف على مذاهب الأشراف أقوال العلماء في حقيقة السحر وحكم الساحر وتعلم السحر فقال: أجمعوا على أن السحر له حقيقة إلا أبا حنيفة فإنه لا حقيقة له عنده، واختلفوا فيمن يتعلم السحر ويستعمله، فقال ابو حنيفة ومالك واحمد يكفر بذلك، ومن اصحاب ابي حنيفة من قال: ان تعلمه ليتقيه أو ليجتنبه فلا يكفر ومن تعلمه معتقداً جوازه أو أنه ينفعه كفر، وكذا من اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر. وقال الشافعي رحمه الله: إذا تعلم السحر قلنا له: صف لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده اهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة وانها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته فهو كافر. قال ابن هبيرة: وهل يقتل بمجرد فعله واستعماله؟ فقال مالك وأحمد: نعم، وقال الشافعي وأبو حنيفة: لا، فأما إن قتل بسحره إنساناً فإنه يقتل عند مالك والشافعي واحمد، وقال ابو حنيفة: لا يقتل حتى يتكرر منه ذلك أو يقر بذلك في حق شخص معين، وإذا قتل فإنه يقتل أحداً =

قال عمر: الجبت السحر، والطاغوت الشيطان[1]. وقال جابر: الطواغيت كهان كان ينزل عليهم الشيطان، في كل حي واحد».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هي؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا، وأكل مال اليتيم. والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[2].

= عندهم، إلا الشافعي فإنه قال: يقتل قصاصاً وهل إذا تاب الساحر تقبل توبته؟ فقال مالك وأبو حنيفة واحمد في المشهور عنهم: لا تقبل، وقال الشافعي واحمد في الرواية الأخرى: تقبل. وأما ساحر أهل الكتاب فعند أبي حنيفة انه يقتل كما يقتل الساحر المسلم. وقال مالك واحمد والشافعي: لا يقتل، يعني لقصة لبيد بن الأعصم. واختلفوا في المسلمة الساحرة، فعند أبي حنيفة أنها لا تقتل ولكن تحبس، وقال الثلاثة: حكمها حكم الرجل، والله أعلم.

(فائدتها) أنفع ما يستعمل لإذهاب السحر ما أنزل الله على رسوله ﷺ المعوذتان، وفي الحديث «لم يتعوذ المتعوذ بمثلهما»، وكذلك قراءة آية الكرسي فإنها مطردة للشيطان.

(١) قد تقدم الكلام على الجبت والطاغوت في صفحة ٥٠ فارجع إليه.

(٢) هذا الحديث ذكره المصنف هكذا بدون عزو إلى كتاب، وهو في الصحيحين. ورواه أيضاً ابو داود والنسائي ،وهاك شرح ألفاظه: قوله «اجتنبوا» أي ابعدوا، من الاجتناب وهو أبلغ من قوله دعوا واتركوا، لأن النهي عن القربان أبلغ من النهي عن المباشرة، لقوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾. وقوله «الموبقات» بموحدة وقاف، أي المهلكات، جمع موبقة، وسُمِّيت كذلك لأنها تهلك فاعلها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات، وفي الآخرة من العذاب. وقوله «الشرك بالله» أي احدها الشرك بالله، والشرك جعل احد شريكاً لآخر، والمراد هنا اتخاذ إله غير الله. وقوله «والسحر» أي الثاني السحر، وهو في اللغة صرف الشيء عن وجهه، وقد تقدم الكلام عليه مستوفى قريباً. وقوله «وقتل النفس» أي الثالث من فعل الموبقات قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق بأن تفعل ما يوجب قتلها كالشرك والنفس بالنفس والزاني بعد الإحصان، والمحرمة نفس المسلم المعصوم والمعاهد، كما ورد في الحديث: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة».

وعن جندب مرفوعاً: «حد الساحر ضربة بالسيف»[1] رواه الترمذي.

واختلف العلماء فيمن قتل مؤمناً متعمداً هل له توبة أم لا؟ فذهب ابن عباس وأبو هريرة وغيرهما إلى أنه لا توبة له، استدلالاً بقوله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها﴾ نزلت هذه الآية وهي آخر ما نزل وما نسخها شيء. وفي رواية: لقد نزلت في آخر ما نزل، ما نسخها شيء حتى قبض رسول الله ﷺ وما نزل وحي. ويشهد له ما رواه النسائي واحمد عن معاوية: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً». وذهب جمهور الأئمة خلفاً عن سلف إلى أن القاتل له توبة فيما بينه وبين الله تعالى، فإن تاب وأناب وعمل صالحاً بدل الله سيئاته حسنات، كما قال تعالى ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون، ومن يفعل ذلك يلق اثاماً، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً، إلا من تاب وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً﴾. وقوله «واكل الربا» أي الرابع اكل الربا، وهو فضل مال بلا عوض، وهو يشمل جميع أنواعه، قال تعالى: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ الآيات. قال العلامة ابن دقيق العيد: وهو مجرب لسوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك. وقوله «واكل مال اليتيم» أي الخامس اكل مال اليتيم، وهو من مات ابوه قبل ان يبلغ، وفي البهائم: من ماتت امه. والمراد التعدي فيه وعبر بالأكل لأنه اعم وجوه الانتفاع، كما قال تعالى: ﴿إن الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً﴾ الآية. وقوله «والتولي يوم الزحف» أي السادس الفرار والإدبار عن الكفار وقت التحام القتال، ويكون كبيرة إذا فرّ إلى غير فئة أو غير متحرف لقتال، كما قيد به في الآية. وقوله «وقذف المحصنات الغافلات» أي السابع قذف المحصنات، القذف في الأصل: الرمي البعيد، استعير للشتم والعيب والبهتان، والمحصنات جمع محصنة، بفتح الصاد اسم مفعول. أي التي احصنها الله تعالى وحفظها من الزنا. وبكسر الصاد اسم فاعل، أي التي حفظت فرجها من الزنا، والمراد بهن الحرائر العفيفات، والمراد رميهن بزنا أو لواط. وقوله «المؤمنات» احترز به عن الكافرات فإن قذفهن ليس من الكبائر وإن كانت ذمية فقذفها من الصغائر لا يوجب الحد. وفي قذف الأمة المسلمة التعزير دون الحد، والله اعلم.

(١) قوله «ضربة» روي بالهاء والتاء وكلاهما صحيح.

وقال: الصحيح أنه موقوف. وفي صحيح البخاري عن بجالة ابن عبدة قال: «كتب عمر بن الخطاب: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة قال: فقتلنا ثلاث سواحر»[1]. وصح عن حفصة رضي الله عنها: أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقتلت[2] وكذلك صح عن جندب. قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ[3].

«فيه مسائل»: الأولى: تفسير آية البقرة. الثانية: تفسير آية النساء. الثالثة: تفسير الجبت والطاغوت والفرق بينهما. الرابعة: أن الطاغوت قد يكون من الجن، وقد يكون من الإنس. الخامسة: معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي. السادسة: أن الساحر يكفر. السابعة: أنه يقتل ولا يستتاب. الثامنة: وجود هذا في المسلمين على عهد عمر، فكيف بعده؟

باب بيان شيء من أنواع السحر[4]

قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن حيان بن

---

(١) هذا الأثر رواه البخاري في صحيحه كما قال المصنف رحمه الله تعالى. لكن لم يذكر قتل السواحر. وظاهر الحديث أنه يقتل من غير استتابة، وهو كذلك على المشهور عن احمد وبه قال مالك. لأن علم السحر لا يزول بالتوبة وعن احمد: يستتاب فإن تاب قبلت توبته. وبه قال الشافعي. لأن ذنبه لا يزيد عن الشرك. والمشرك يستتاب وتقبل توبته. ولذلك صح ايمان سحرة فرعون وتوبتهم، والله اعلم.

(٢) هذا الأثر رواه مالك في الموطأ في «باب ما جاء في الغيلة والسحر» وقال بعد ذكره: «الساحر الذي يعمل السحر ولم يعمل ذلك له غيره: هو مثل الذي قال الله تبارك وتعالى في كتابه ﴿ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق﴾ فأرى أن يقتل ذلك إذا عمل ذلك هو نفسه». وحفصة رضي الله عنها هي أم المؤمنين بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، تزوجها رسول الله ﷺ بعد خنيس ابن حذافة، ماتت سنة خمس وأربعين، والله أعلم.

(٣) وهم: عمر، وحفصة، وجندب.

(٤) للسحر أنواع كثيرة، أعظمها الأحوال الشيطانية التي غرت كثيراً من العوام =

العلاء حدثنا قطن بن قبيصة، عن أبيه. أنه سمع النبي ﷺ قال: «إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت»[1]. قال عوف: العيافة: زجر الطير،

= والجهال، فاغتر بها كثير من الناس، وظنوا أنها تدل على ولاية من جرت على يده ويعدونها كرامة. وللإمام ابن تيمية كتاب سماه «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» حقق فيه صفات كل منهما، واستدل لذلك بآيات قرآنية وأحاديث نبوية.

(١) العيافة، بكسر العين: زجر الطير والتفاؤل والاعتبار في ذلك بأسمائها، كما يتفاءل بالعقاب على العقاب، وبالغراب على الغربة، وبالهدهد على الهدى. والفرق بينهما وبين الطيرة أن الطيرة هي التشاؤم بها، وقد تستعمل في التشاؤم بغير الطير من حيوان وغيره. كذا في المرقاة على المشكاة. وقال ابن الأثير في النهاية: «العيافة زجر الطير، والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها، وهو من عادة العرب كثيراً، وهو كثير في أشعارهم، يقال عاف يعيف عيفاً إذا زجر وحدس وظن، وبنو أسد يذكرون بالعيافة ويوصفون بها، قيل عنهم إن قوماً من الجن تذاكروا عيافتهم، فأتوهم فقالوا: ضلت لنا ناقة فلو أرسلتم معنا من يعيف؟ فقالوا لغليم منهم: انطلق معهم، فاستردفه احدهم، ثم ساروا، فلقيهم عقاب كاسرة إحدى جناحيها، فاقشعر الغلام وبكى، فقالوا: مالك؟ فقال: كسرت جناحاً، ورفعت جناحاً، وحلفت بالله صراحاً، ما أنت بإنسي ولا تبغي لقاحاً».

وعوف هذا، هو ابن أبي جميلة البصري المعروف بعوف الأعرابي، توفي سنة ست أو سبع وأربعين وله ست وثمانون سنة. والطرق، بفتح الطاء وسكون الراء، هو ما فسره به عوف. وقال ابن الأثير: «الطرق الضرب بالحصى الذي يفعله النساء، وقيل هو الخط في الرمل». واقتصر العلامة الزمخشري في الفائق على الأول، ونقل ابن الأثير تفسير الخط عن ابن عباس قال: «قال ابن عباس: الخط هو الذي يخطه الحازي، وهو علم قد تركه الناس، يأتي صاحب الحاجة إلى الحازي فيعطيه حلواناً، فيقول له: اقعد حتى أخط لك، وبين يدي الحازي غلام له معه ميل، ثم يأتي إلى أرض رخوة فيخط فيها خطوطاً كثيرة بالعجلة، لئلا يلحقها العدد، ثم يرجع فيمحو منها على مهل خطين خطين، وغلامه يقول للتفاؤل: ابن عيان أسرعا البيان! فإن بقي خطان فهما علامة النجح، وإن خط واحد فهو علامة الخيبة». أقول: وهو ما يسمى في زماننا بخط الرمل، وهو معروف شائع في هذا العصر، يتعيش به كثير من الدجالين وأصحاب الحيل المتكهنين، يوهمون الرعاع الجهلة أنهم يطلعون على المغيبات، وهو في الحقيقة خداع ومكر وحيل ما أنزل الله بها من سلطان، نسأل الله السلامة من ذلك. =

والطرق: الخط يخط بالأرض، والجبت: قال الحسن، رنة الشيطان، إسناده جيد، ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد» رواه أبو داود، وإسناده صحيح[2]. وللنسائي من حديث أبي هريرة: من عقد عقدة

= والطيرة سيأتي الكلام عليها في بابها إن شاء الله تعالى، والجبت تقدم الكلام عليه. وقوله: «قال الحسن رنة الشيطان» جاء في تفسير بقي بن مخلد: إن إبليس رن أربع رنات: رنة حين لعن، ورنة حين أهبط، ورنة حين ولد رسول الله ﷺ، ورنة حين نزلت فاتحة الكتاب. وقد روى ابن أبي حاتم بسنده عن سعيد بن جبير قال: لما لعن الله تعالى إبليس تغيرت صورته عن صورة الملائكة ورن رنة فكل رنة منها في الدنيا إلى يوم القيامة. والرنة الصوت. والله أعلم.

(١) يعني أنهم رووا من هذا الخبر القسم المرفوع منه إلى النبي ﷺ فقط.

(٢) قال الحافظ المنذري: وأخرجه ابن ماجه، ورواه أيضاً الإمام أحمد في مسنده. وقوله: «من اقتبس» أي أخذ وحصل وتعلم. وقوله: «علماً من النجوم» أي من علومها أو مسألة من علمتها. وقوله «شعبة» أي طائفة وقطعة من علم النجوم، ومنه الحديث «الحياء شعبة من الإيمان» أي جزء منه. وقوله: «فقد اقتبس من السحر» أي المحرم تعلمه، وقوله: «زاد ما زاد» أي كلما زاد من تعلم علم النجوم زاد في الإثم الحاصل بزيادة الاقتباس من شعبه. قال الخطابي: «علم النجوم المنهي عنه هو ما يدل عليه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع، كمجيء الأمطار وتغير الأسعار، وأما ما يعلم به أوقات الصلاة وجهة القبلة فغير داخل فيما نهي عنه».

وفي شرح السنة: «المنهى عنه من علوم النجوم ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث التي لم تقع وربما تقع في مستقبل الزمان، مثل إخبارهم بوقت هبوب الرياح ومجيء ماء المطر ووقوع الثلج وظهور الحر والبرد وتغيير الأسعار ونحوها ويزعمون أنهم يستدركون معرفتها بسير الكواكب واجتماعها وافتراقها، وهذا علم استأثر الله به لا يعلمه أحد غيره كما قال تعالى: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث﴾ فأما ما يدرك بطريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف به الزوال وجهة القبلة، فإنه غير داخل فيما نهي عنه، قال الله تعالى: ﴿وهو الذي جعل =

ثم نفث فيها سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً وكل إليه[1].

= لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾ وقال تعالى: ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾ فأخبر الله تعالى أن النجوم طرق لمعرفة الأوقات والمسالك ولولاها لم يهتد الناس إلى استقبال الكعبة. وقد روي عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال: «تعلموا من النجوم ما تعرفون به القبلة والطريق ثم أمسكوا»، والله أعلم.

(١) الحديث رواه النسائي عن أبي هريرة مرفوعاً، ورواه أيضاً ابن مردويه وقوله: «عقد عقدة ثم نفث فيها». العقدة جمعها عقد، وهي ما تعقده الساحرة، ويقال لها عزيمة أيضاً كما قاله الراغب. وبيان ذلك أن السحرة إذا أرادوا السحر عقدوا الخيوط ونفثوا على كل عقدة حتى ينعقد ما يريدون من السحر. والنفث هو النفخ مع الريق، وهو دون التفل، قال العلامة ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد في تفسير المعوذتين: «فصل: الشر الثالث، شر النفاثات في العقد، وهذا هو شر السحر، فإن النفاثات في العقد هن السواحر اللاتي يعقّدن الخيوط وينفثن على كل عقدة حتى ينعقد ما يردن من السحر، والنفث هو النفخ مع ريق وهو دون التفل، وهو مرتبة بينهما، والنفث فعل الساحر، فإذا تكفيت نفسه بالخبث والشر الذي يريده بالمسحور ويستعين عليه بالأرواح الخبيثة نفخ في تلك العقد نفخاً معه ريق، فيخرج من نفسه الخبيثة نفس ممازج للشر والأذى، مقترن بالريق الممازج لذلك وقد تساعد هو والروح الشيطانية على أذى المسحور، فيقع فيه السحر بإذن الله الكوني القدري لا الأمر الشرعي». وحمل النفاثات في الآية على من يسعى بالغيبة والنميمة بعيد. وقد ثبت في الصحيح عن أبي سعيد الخدري: «إن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد اشتكيت؟ فقال: نعم، فقال: بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، بسم الله أرقيك». وقوله: «ومن سحر فقد أشرك» يدل على أن الساحر مشرك، وقد حكى الحافظ عن بعض العلماء أن السحر لا يتأتى إلا مع الشرك. وقوله: «ومن تعلق شيئاً وكل إليه» أي من تعلق قلبه شيئاً حيث يعتمد عليه ويرجوه وكله الله إلى ذلك الشيء، فمن تعلق قلبه بربه وخالقه ومولاه وسيده كفاه ووقاه، وحفظه من كل شيء يضره ويؤذيه، وتولاه تعالى بنفسه، وهو سبحانه نعم المولى ونعم النصير. قال الله تعالى: ﴿أليس الله بكاف عبده﴾ ومن تعلق قلبه بشيء من المخلوقين وكله الله تبارك وتعالى إلى من تعلق به، ولا يشك احد من العباد في أن من وكل إلى غير =

وعن ابن مسعود: أن رسول الله ﷺ قال: «ألا هل أنبئكم ما العضه؟ هي النميمة، القالة بين الناس» رواه مسلم[1].

= الله هلك وخسر وضل ضلالاً بعيداً. فليتنبه اهل عصرنا الذين يدعون الإسلام وينتسبون إليه إلى ذلك، فلا يلجأوا إلى المقابر والأضرحة، ولا يهرولوا إليها إذا اصيبوا بشيء من بلايا الدنيا، وليلوذوا بجناب الله تعالى. وليلجأوا إليه تعالى دون ما سواه.

(١) قوله: «ألا أنبئكم ما العضه» «ألا» أداة تنبيه، «وأنبئكم» أخبركم «والعضه» قال النووي في شرح مسلم: هذه اللفظة رووها على وجهين: أحدهما العضه بكسر العين وفتح الضاد المعجمة، على وزن العدة والزنة، والثاني العضه، بفتح العين وإسكان الضاد، على وزن الوجه، وهذا الثاني هو الأشهر في روايات بلادنا، يعني دمشق، والأشهر في كتب الحديث وكتب غريبة، والأول أشهر في كتب اللغة، وتقدير الحديث والله أعلم: «ألا أنبئكم بالعضه الفاحش الغليظ التحريم». قال العلامة الزمخشري: «أصلها العضهة فعلة من العضه. وهو البهت فحذفت لامه كما حذفت من السنة والشفة». وأطلق على النميمة عضه لأنها لا تنفك عن الكذب والبهتان غالباً، ولذا قال ابن عبد البر عن يحيى بن أبي كثير: يفسد النمام والكذاب في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة. وقد عدها بعض العلماء من السحر، ووجهه أنه يقصد الأذى بكلامه وعمله على وجه المكر والحيلة فأشبه السحر. وحكم النميمة التحريم إجماعاً، قال ابن حزم: «اتفقوا على تحريم الغيبة والنميمة في غير النصيحة الواجبة». وهي من الكبائر. وللإمام الشوكاني رسالة سماها «رفع الريبة فيما يجوز وما لا يجوز من الغيبة» وقد طبعت ضمن مجموعة الرسائل المنبرية. حقق فيها المسألة، فارجع إليها فإنها تنفعك إن شاء الله تعالى. وقوله «القالة بين الناس» هي كثرة القول وإيقاع الخصومة بين الناس، كما قاله صاحب النهاية. ولا يخفى على العاقل اللبيب فساد النميمة وشدة ضررها، فإنها تجعل الصاحب المخلص عدواً لدوداً، والقريب بعيداً والمحب مبغضاً، لا سيما إذا كانت بين العائلات والأقارب والجيران، فإن الضرر يزداد والفساد يعظم، فليتق الله النمام في نفسه وفي اخيه وقومه وعشيرته، وليخف الله في يوم لا ينفع فيه مال ولا قوة إلا من أتى الله مخلصاً له ولدينه ونبيه واخوانه المسلمين المؤمنين بقلب سليم.

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «إن من البيان لسحراً»[١].

---

(١) الحديث أخرجه أيضاً أبو داود والترمذي. وقد أورد البخاري سبب قول النبي ﷺ ذلك في كتاب الطب، ولفظه: «أنه قدم رجلان من المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما»، فقال رسول الله ﷺ: «إن من البيان لسحراً، أو إن بعض البيان سحر».
قال صاحب مجمع الأمثال: «قال النبي ﷺ حين وفد عليه عمرو بن الأهتم والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم. فسأل عليه الصلاة والسلام عمرو بن الأهتم عن الزبرقان؟ فقال عمرو: مطاع في أدنيه، شديد العارضة، مانع لما وراء ظهره، فقال الزبرقان: يا رسول الله إنه ليعلم مني اكثر من هذا ولكنه، حسدني، فقال عمرو: أما والله إنه لزمر المروءة، ضيق العطن أحمق الوالد، لئيم الخال. والله يا رسول الله ما كذبت في الأولى، ولقد صدقت في الأخرى، ولكني رجل رضيت فقلت أحسن ما علمت، وسخطت فقلت أقبح ما وجدت! فقال عليه الصلاة والسلام: «إن من البيان لسحراً». يعنى أن بعض البيان يعمل عمل السحر.
ومعنى السحر: إظهار الباطل في صورة الحق. والبيان: اجتماع الفصاحة والبلاغة وذكاء القلب مع اللسن، وإنما شبه بالسحر لحدة عمله في سامعه وسرعة قبول القلب له. قال المنذري: وقد اختلف العلماء في قوله ﷺ: «إن من البيان لسحراً»، فقيل أورده مورد الذم لتشبيهه بعمل السحر، لغلبه القلوب، وتزيينه القبيح، وتقبيحه الحسن. وإليه أشار الإمام مالك رضي الله عنه، فإنه ذكر هذا الحديث في الموطأ في باب ما يكره من الكلام، قيل إن معناه أن صاحبه يكسب به من الإثم ما يكسبه الساحر بعلمه، وقيل أورده مورد المدح، أي أنه تمال به القلوب ويرضى به الساخط ويذل به الصعب، ويشهد له: «إن من الشعر لحكمة». وقال أبو عبيدة البكري الأندلسي في شرح كتاب الأمثال للحافظ أبي عبيد القاسم بن سلام: الناس يتلقون هذا الحديث على أنه في مدح البيان، وأدرجوا في كتبهم هذا التأويل، وتلقاه العلماء على غير ذلك، وبوب مالك في الموطأ عليه: باب ما يكره من الكلام، فحمله على الذم، وهذا هو الصحيح في تأويله، لأن الله تعالى قد سمي السحر فساداً في قوله تعالى: ﴿ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين﴾ أقول: وهذا ظاهر صنيع أبي داود، لأنه قال بعد ما أورده: «كأن المعنى أن يبلغ من بيانه أن يمدح الإنسان فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله، ثم يذمه فيصدق فيه حتى يصرف =

«فيه مسائل»: الأولى: أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت. الثانية: تفسير العيافة والطرق. الثالثة: أن علم النجوم نوع من السحر. الرابعة: العقد مع النفث من ذلك. الخامسة: أن النميمة من ذلك. السادسة: أن من ذلك بعض الفصاحة.

باب ما جاء في الكهان ونحوهم[1]

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ

= القلوب إلى قوله الآخر، فكأنه سحر السامعين بذلك». ولا شك أن البيان يقسم إلى نوعين: نوع يجعل الحق في قالب الباطل والباطل في قالب الحق، فيستميل صاحبه قلوب الجهال حتى يقبلوا الباطل وينكروا الحق، وهذا مذموم لا شك فيه. ونوع يوضح الحق ويقرره، ويبطل الباطل ويبينه، وهذا لا ريب في مدحه، وبه جاءت الأنبياء والرسل صلى الله عليهم.

(١) قال في اللسان: «الكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار، وقد كان في العرب كهنة، كشق وسطيح وغيرهما، فمنهم من كان يزعم أن له تابعاً من الجن ورئياً يلقي إليه الأخبار، ومنهم من كان يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها، من كلام من يسأله أو فعله أو حاله وهذا يخصونه باسم العراف، كالذي يدعي معرفة الشيء المسروق ومكان الضالة ونحوهما. قال الأزهري: وكانت الكهانة في العرب قبل مبعث النبي ﷺ، فلما بعث نبينا وحرست السماء بالشهب ومنعت الجن والشياطين من استراق السمع وإلقائه إلى الكهنة بطل علم الكهانة، وأزهق الله أباطيل الكهان بالفرقان الذي فرق الله عز وجل به بين الحق والباطل، وأطلع الله سبحانه نبيه ﷺ بالوحي على ما شاء من علم الغيوب التي عجزت الكهنة عن الإحاطة به، فلا كهانة اليوم بحمد الله ومنه وإغنائه بالتنزيل عنها» وقد يقع في هذه الأزمان وقبلها ما يخبر به الجن مواليهم من الإنس عن الأشياء الغائبة بما يقع في الأرض من الأخبار، فيظنه الجاهلون وضعفة العقول كشفاً وكرامة. قال في فتح المجيد: «وقد اغتر بذلك كثير من الناس يظنون المخبر لهم بذلك عن الجن ولياً لله وهو من أولياء الشيطان، كما قال تعالى: ﴿ويوم نحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس، وقال أولياؤهم من الإنس: ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي =

قال: «من أتى عرّافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»[1].

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ». رواه أبو داود. وللأربعة والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما، عن (أبي هريرة)[2] «من أتى عرّافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ».

= أجلت لنا، قال: النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله، إن ربكم حكيم عليم﴾.

(١) العراف: هو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفتها بها، وهو من جملة أنواع الكهان، وسيأتي بعد في كلام المصنف قال الخطابي وغيره: العراف هو الذي يتعاطى معرفة مكان المسروق ومكان الضالة ونحوهما. وظاهر الحديث أن الوعيد يترتب على مجيئه وسؤاله، سواء صدقه أو شك في خبره. وقوله: «لم تقبل له صلاة» قال النووي في شرح مسلم: معناه أنه لا ثواب له فيها، كذا قال جمهور اصحابنا، ولا بدّ من هذا التأويل في الحديث، فإن العلماء متفقون على أنه لا يلزم من إتيان العراف إعادة صلوات اربعين ليلة (اهـ) المقصود منه. ولا يخفى عليك أن هذا في حق السائل، فماذا يكون حكم المسؤول من الوعيد والزجر؟ ويوجد من هؤلاء طائفة دجالون منتشرون في الأسواق يلبسون على ضعفاء العقول وجهلة المسلمين، يوهمونهم أن لهم اطلاعاً على المغيبات، ويسلبون الناس أموالهم ظلماً، ولا زاجر ولا رادع من ذلك، وكان الواجب على العلماء والأمراء أن يأخذوا على أيدي هؤلاء الدجالين، ويمنعوهم من البلاد والأسواق، حفظاً لعقيدة الأمة وعقولها من هذه الضلالات.

قال القرطبي: يجب على من قدر على ذلك من محتسب وغيره أن يقيم من يتعاطى شيئاً من ذلك من الأسواق، وينكر عليهم أشد النكير وعلى من يجيء إليهم، ولا يغتر بصدقهم في بعض الأمور، ولا بكثرة من يجيء إليهم ممن ينتسب إلى العلم فإنهم غير راسخين في العلم، بل من الجهال بما في إتيانهم من المحذور.

(٢) هكذا بيض المصنف لاسم الراوي، ولعله نقله من كتاب الزواجر لابن حجر، لأنه عزا الحديث إلى الأربعة والحاكم ولم يذكر راوي الحديث، فذكره المصنف هكذا =

ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفاً.

وعن عمران بن حصين مرفوعاً: «ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له. ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ». رواه البزار بإسناد جيد[1]. ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس، دون قوله «ومن أتى» إلى آخره.

قال البغوي: العراف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك. وقيل: هو الكاهن. والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، وقيل: الذي يخبر عما في الضمير. وقال أبو العباس بن تيمية العراف: اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق. وقال ابن عباس في قوم يكتبون أبا جاد، وينظرون في النجوم: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق[2].

= وبيض له، لأجل أن يراجع عن راوي الحديث ويكتبه، فاخترمته المنية وبقي بياضاً، وقد راجعت في كتاب المستدرك للحاكم فرأيته رواه عن أبي هريرة، ورواه الإمام أحمد والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة مرفوعاً وحديث أبي داود مختصر هنا، وأصله في سننه هكذا: «وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: من أتى كاهناً فصدقه بما يقول أو أتى امرأة في دبرها فقد بريء مما أنزل على محمد ﷺ» والحديث متكلم فيه، وعلى فرض صحته فهو محمول على استحلال ذلك، ليجمع بينه وبين حديث أول الباب.

(١) قال الحافظ بن حجر في تلخيص الخبير في تخريج احاديث الرافعي الكبير: روي أنه ﷺ قال: «ليس منا من سحر أو سحر له، أو تكهن أو تكهن له. (رواه الطبراني) من حديث الحسن عن عمران بن حصين، وأبو نعيم من حديث علي ابن أبي طالب، والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس. وفي الأول اسحاق ابن الربيع، وضعفه الفلاس، والراوي عنه أيضاً لين، وفي حديث ابن عباس زمعة ابن صالح عن سلمة بن وهرام، وهما ضعيفان.

(٢) هو حساب الجمل، فيقطعون حروف «أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت»

«فيه مسائل»: الأولى: لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن. الثانية: التصريح بأنه كفر. الثالثة: ذكر من تكهن له. الرابعة: ذكر من تطير له. الخامسة: ذكر من سحر له. السادسة: ذكر من تعلم أبا جاد. السابعة: ذكر الفرق بين الكاهن والعراف.

باب ما جاء في النشرة[1]

عن جابر: «أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة فقال هي من عمل الشيطان». رواه أحمد بسند جيد وأبو داود، وقال: سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله. وفي البخاري عن قتادة: قلت لابن المسيب: رجل به طب[2] أو يؤخذ عن امرأته، أيحل عنه أو ينشر؟ قال:

= فيجعلون الألف واحداً، والباء اثنين، والجيم ثلاثة، والدال اربعة، والهاء خمسة، إلى نهاية الحرف العاشر ثم يبدأون بالكاف من «كلمن» ويجعلونها عشرة، واللام عشرين، وهكذا إلى أن تتم حروف هذه الكلمات. وقال العلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد: «هذا الأثر رواه الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً، واسناده ضعيف».

(١) قال ابن الأثير في النهاية: «النشرة بالضم: ضرب من الرقية والعلاج، يعالج به من كان يظن أن به مساً من الجن، سميت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء أي يكشف ويزال. وقال الحسن: النشرة من السحر، وقد نشرت عنه تنشيراً».

(٢) قوله: «طب». هو بكسر الطاء: السحر، يقال طب الرجل، بالضم: إذا سحر، قال في النهاية: «كنوا بالطب عن السحر تفاؤلاً بالبرء، كما كنوا بالسليم عن اللديغ». وقوله «يؤخذ» بفتح الواو مهموز وتشديد الخاء المعجمة بعدها ذال معجمة، أي يحبس عن امرأته ولا يصل إلى جماعها. والأخذة بضم الهمزة: الكلام الذي يقوله الساحر وقوله «أيحل» بضم الياء وفتح الحاء مبني للمفعول وقوله «أو ينشر» بتشديد المعجمة. وقوله «لا بأس به» أي الفعل، يعنى أن النشرة لا بأس بها، لأنهم يريدون بها الإصلاح، أي ازالة السحر ولم ينه عما يراد به الإصلاح. وقد تقدم الكلام على الرقية الجائزة بما فيه الكفاية فارجع إليه. ومما يدل على صفة النشرة الجائزة ما رواه ابن ابي حاتم وابو الشيخ عن ليث بن ابي =

لا بأس به. إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه، انتهى. وروي عن الحسن أنه قال: لا يحل السحر إلا ساحر. قال ابن القيم: النشـرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمـل قول الحسن، فيتقـرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور. والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة، فهذا جائز.

«فيه مسائل»: الأولى: النهي عن النشرة. الثانية: الفرق بين المنهى عنه والمرخص فيه مما يزيل الإشكال.

باب ما جاء في التطير[1]

وقـول الله تعالى. ﴿أَلَا إِنَّمَـا طَـائِـرُهُمْ عِنْـدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ

= سليم قال: بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله، تقرأ في اناء فيه ماء ثم يصب على رأس المسحور. الآية التي في سورة يونس: ﴿إنما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر أن الله سيبطله﴾ إلى قوله: ﴿إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾.

(١) في النهاية: «الطيرة، بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن، هي التشاؤم بالشيء، وهو مصدر تطير، يقال تطير طيرة وتخير خيرة، ولم يجىء من المصادر هكذا غيرهما، وأصله فيما يقال التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضر» قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة: «ومن ذلك هؤلاء اصحاب الطير السانح والبارح والقعيد والناطح، وأصل هذا انهم كانوا يزجرون الطير والوحش ويثيرونهما، فما تيامن منها واخذ ذات اليمين سموه سانحاً، وما تياسر منها سموه بارحاً، وما استقبلهم منها فهو الناطح، وما جاءهم من خلفهم سموه القعيد. فمن العرب من يتشاءم بالبارح ويتبرك بالسانح، ومنهم من يرى خلاف ذلك. قال المدائني: سألت رؤبة بن العجاج: ما السانح؟ قال: ما ولاك ميامنةً، قال: قلت: فما البارح؟ قال: ما ولاك مُياسَرةً، قال: والذي يجيء =

= من قدامك فهو الناطح والنطيح، والذي يجيء من خلفك فهو القاعد والقعيد». ثم قال: «وإنما اختلفوا في مراتبها ومذاهبها لأنها خواطر وحدوس وتخمينات لا أصل لها، فمن تبرك بشيء مدحه ومن تشاءم به ذمه». ولم تكن العرب قاطبة تعتقد هذا وتقول به. قال ابن القيم: «ومنهم من أنكرها بعقله، وأبطل تأثيرها بنظره، وذم من اغتر بها واعتمد عليها، وتوهم تأثيرها، فمنهم المرقش حيث يقول:

ولقد غدوت وكنت لا أغدوا على واق وحاتم
فإذا الأشائم كالأيا من والأيامن كالأشائم
وكذاك لا خير ولا شر على أحد بدائم
لا يمنعنك من بغا ء الخير تعقاد التمائم
قد خط ذلك في السطو ر الأوليات القدائم

يعني بالواق الصرد، وبالحاتم الغراب، سموه حاتماً لأنه كان عندهم يحتم بالفراق». وقال الكميت:

وما أنا ممن يزجر الطير همه أطار غراب أم تعرض ثعلب
ولا السانحات البارحات عشية أمر سليم القرن أم مر أعضب

ومما كان أهل الجاهلية يتطيرون به ويتشاءمون منه العطاس، كما يتشاءمون بالبوارح والسوانح. قال رؤبة بن العجاج يصف فلاة:

* قطعتها ولم أهب عطاسا*

وقال امرؤ القيس:

وقد اغتدي قبل العطاس بهيكل شديد مشيد الجنب فعم المنطق

أراد أنه كان يتنبه للصيد قبل أن يتنبه الناس من نومهم لئلا يسمع عطاساً فيتشاءم بعطاسه. وكانوا إذا عطس من يحبونه قالوا: عمراً وشباباً، وإذا عطس من يبغضونه قالوا له: رياً وقحاباً. والورى كالري داء يصيب الكبد فيفسدها، والقحاب كالسعال وزنا ومعنى. وكان تشاؤمهم بالعطسة الشديدة أشد. قال ابن القيم: وقد شفى رسول الله ﷺ أُمته في الطيرة حيث سئل عنها فقال: ذاك كشيء يجده أحدكم فلا يصدنه. وفي أثر آخر: «إذا تطيرت فلا ترجع» أي امض لما قصدت له ولا يصدنك عنه الطيرة. واعلم أن التطير إنما يضر من أشفق منه وخاف، وأما من لم يبال به ولم يعبأ به شيئاً لم يضره البتة، ولا سيما إن قال عند رؤية ما يتطير به أو سماعه: اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله =

أَكثَرهُمْ لاَيَعْلَمُونَ﴾(١).

= غيرك، اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يذهب بالسيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك. فالطيرة باب من الشرك وإلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته يكبر ويعظم شأنها على من اتبعها نفسه واشتغل بها وأكثر العناية بها، وتذهب وتضمحل عمن لم يلتفت إليها، ولا ألقى إليها باله، ولا شغل بها نفسه وفكره، واعلم أن من كان معتنياً بها قائلاً بها كانت إليه أسرع من السيل إلى منحدره، وتفتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويعطاه، ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه وينكد عليه عيشه «فإذا سمع سفرجلا أو أهدى إليه تطير به وقال: سفر وجلاء! وإذا رأى ياسميناً أو سمع اسمه تطير به وقال: يأس ومين! وإذا رأى سوسنة أو سمعها قال: سوء يبقى سنة! وإذا خرج من داره فاستقبله أعور أو أشل أو أعمى أو صاحب آفة تطير به أو تشاءم بيومه» فكن أيها العاقل حريصاً على اتباع دينك، متأسياً برسولك محافظاً على سير سلفك، غير ملتفت إلى عادة الجاهلية ولا تابع هذه السخافات التي تفسد العقل وتضعف اليقين. وكن مطمئن القلب إلى أن التطير ليس له أثر في نفع أو ضرر نسأل الله تعالى أن يوفقني وإياك إلى هدى الرسول ﷺ في العقيدة والقول والعمل والحركات والسكنات.

(١) قوله: «ألا» أداة تنبيه، وهو رد لمقالتهم الباطلة، وهي قولهم إذا جاءتهم الحسنة: لنا هذه، وإن تصبهم سيئة تطيروا بموسى ومن معه. وفسرت الحسنة بالخصب والرخاء، والسيئة بالجدب والمرض. والحاصل أن آل فرعون كانوا إذا أصابتهم الحسنة، أي الخصب والسعة والعافية، قالوا: لنا هذه، أي نحن الجديرون والحقيقون به ونحن أهله، وإن تصبهم سيئة، أي بلاء وقحط، تطيروا بموسى ومن معه، فيقولون هذا بسبب موسى وأصحابه أصابنا شؤمهم. فقال الله تعالى: ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾ أي ليس شؤمهم إلا عند الله، أي من قبله وحكمه، كما قال ابن عباس وقال الزجاج: المعنى ليس الشؤم الذي وعدوا به من العقاب عنده لا ما ينالهم في الدنيا، وقوله: ﴿ولكن اكثرهم لا يعلمون﴾ أي بسبب جهلهم، ولو فهموا وعقلوا لعلموا أن موسى عليه السلام ما جاء إلا بالخير والبركة والفلاح لمن آمن به وصدق برسالته واتبعه. فسعادة الناس باتباعهم أنبياءهم وشقاوتهم بمنابذة ما جاءوا به. وهذا حال كل نبي مع أمته، وكذلك حال الجهال مع علمائهم العاملين نسأل الله التوفيق والهداية لأقوم طريق.

وقوله: ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾[1] الآية.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه. أن رسول الله ﷺ قال. «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر» أخرجاه، زاد مسلم. «ولا نوء ولا غول»[2].

---

(١) هذا رد على من كذب الرسل فأصيبوا بالبلاء، ولما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل ادعوا أن سبب البلاء جاء قبل الرسل وبسببهم، وهذا ديدن الجهلة حيث يتيمنون بكل ما يوافق شهواتهم وإن كان مستجلباً لكل شر، ويتشاءمون بما لا يوافقها وإن كان مستتبعاً لكل خير والمعنى إن طائركم، أي سبب شؤمكم معكم لا من قبلنا كما تزعمون، وهو سوء عقيدتكم وقبح أعمالكم. وقد أخرج ابن المنذر عن ابن عباس أنه فسر الطائر بنفس الشؤم، أي شؤمكم معكم وهو الإقامة على الكفر، وأما نحن فلا شؤم معنا لأنا ندعو إلى التوحيد وعبادة الله تعالى، وفيه غاية اليمن والخير والبركة، وعن أبي عبيدة والمبرد: طائركم أي حظكم ونصيبكم في الخير والشر، معكم في أفعالكم، إن خيراً فخير وإن شراً فشر. ومناسبة ذكر الآيتين في الترجمة أن التطير من أعمال المشركين في الجاهلية، وقد ذمهم الله تعالى به ومقتهم، وقد نهى رسول الله ﷺ عن التطير وأخبر أنه شرك.

(٢) قال في النهاية: «العدوى اسم من الأعداء، كالرعوى والبقوى من الإرعاء والإبقاء، يقال أعداه الداء يعديه إعداء، وهو أن يصيبه مثل ما بصاحب الداء، وذلك أن يكون ببعير جرب مثلاً فتُتَّقَى مخالطته بإبل أُخرى حذاراً أن يتعدى ما به من الجرب إليها فيصيبها ما اصابه، وقد أبطله الإسلام، لأنهم كانوا يظنون أن المرض بنفسه يتعدى، فأعلمهم النبي ﷺ انه ليس الأمر كذلك، وإنما الله هو الذي يمرض وينزل الداء، ولهذا قال في بعض الأحاديث: فمن اعدى البعير الأول، أي من أين صار فيه الجرب».والهامة بتخفيف الميم على المشهور وقيل بتشديده. وقد ذكر لها النووي في شرح مسلم تأويلين: أحدهما أن العرب كانت تتشاءم بالهامة الطائر المعروف من طير الليل، وقيل هي البومة قالوا: كانت إذا سقطت على دار احدهم يراها ناعية له نفسه أو بعض اهله. وهذا تفسير مالك بن انس. والثاني أن العرب كانت تعتقد أن عظام الميت وقيل روحه تنقلب هامة تطير، وهذا تفسير اكثر العلماء، وهو المشهور. ويجوز أن يكون المراد النوعين، فإنهما جميعاً باطلان، فبين النبي ﷺ ابطال ذلك وضلالة الجاهلية فيما تعتقده من ذلك. وقوله «ولا صفر» هو بفتح الفاء، وقد ذكر له ايضاً تأويلين: «احدهما المراد =

ولهما عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل. قالوا. وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة»[1].

= تأخير تحريم المحرم إلى صفر، وهو النسيء الذي كانوا يفعلونه، وبهذا قال مالك وأبو عبيدة. والثاني أن الصفر دواب في البطن، وهي دود، وكانوا يعتقدون أن في البطن دابة تهيج عند الجوع وربما قتلت صاحبها، وكانت العرب تراها اعدى من الجرب، وهذا التفسير هو الصحيح، وبه قال مطرف وابن وهب وابن حبيب وأبو عبيد وخلائق من العلماء وقد ذكره مسلم عن جابر بن عبد الله رواي الحديث، فيتعين اعتماده. ويجوز أن يكون المراد هذا والأول جميعاً، وأن الصفرين جميعاً باطلان لا اصل لهما ولا تعريج على واحد منهما». وقوله «ولا نوء» سيأتي الكلام عليه في بابه إن شاء الله تعالى. وقوله «ولا غول» هو بضم الغين المعجمة واحد الغيلان، قال في النهاية: وهو جنس من الجن والشياطين. قال النووي: «قال جمهور العلماء: كانت العرب تزعم أن الغيلان في الفلوات، وهي جنس من الشياطين، فتتراءى للناس وتتغول تغولاً، أي تتلون تلوناً، فتضلهم عن الطريق فتهلكهم، فأبطل النبي ﷺ ذاك. وقال آخرون: ليس المراد بالحديث نفي وجود الغول، وانما معناه إبطال ما تزعمه العرب من تلون الغول بالصور المختلفة واغتيالها، قالوا ومعنى لا غول: أي لا تستطيع أن تضل أحداً. ويشهد له حديث آخر: لا غول ولكن السعالى. قال العلماء: السعالى بالسين المفتوحة والعين المهملتين، وهم سحرة الجن، أي ولكن في الجن سحرة لهم تلبيس وتخييل. وفي الحديث الآخر: إذا تغولت الغيلان فنادوا بالأذان. أي ادفعوا شرها بذكر الله تعالى، وهذا دليل على أنه ليس المراد نفي اصل وجودها. وفي حديث ابي ايوب: كان لي تمر في سهوة وكانت الغول تجيء فتأكل منه.».

(١) قال ابن الأثير: «الفأل، مهموز: وهو فيما يسر ويسوء، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، وربما استعملت فيما يسر، يقال تفاءلت بكذا وتفاءلت على التخفيف والقلب. وقد أولع الناس بترك همزه تخفيفاً وإنما أحب الفأل لأن الناس إذا أملوا فائدة الله تعالى ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوي فهم على خير، ولو غلطوا في جهة الرجاء، فإن الرجاء لهم خير، وإذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشر. وأما الطيرة فإن فيها سوء الظن بالله وتوقع البلاء، ومعنى التفاؤل مثل أن يكون رجل مريض فيتفاءل بما يسمع من كلام، فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول: يا واجد، فيقع في ظنه =

ولأبي داود بسند صحيح. عن عقبة بن عامر[1] قال. «ذكرت الطيَرة عند رسول الله ﷺ فقال أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك».

وعن ابن مسعود مرفوعاً. «الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل»[2] رواه أبو داود والترمذي وصححه، وجعل آخره

= أنه يبرأ من مرضه ويجد ضالته». وقوله: «لا عدوى ولا طيرة» قال العلامة ابن القيم: «هذا يحتمل أن يكون نفياً وأن يكون نهياً، أي لا تطيروا. ولكن قوله في الحديث: ولا عدوى ولا صفر ولا هامة، يدل على أن المراد النفي وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها، والنفي في هذا أبلغ من النهي، لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره. والنهي إنما يدل على المنع منه».

(١) هكذا وقع في جميع النسخ «عقبة بن عامر» وهو غلط، صوابه «عروة بن عامر»، كذا أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما، وهو مكي اختُلِفَ في نسبه. فقال احمد: عن عروة بن عامر القرشي، وقال غيره: الجهني، واختلف في صحته.

(٢) قوله: «الطيرة شرك» صريح في تحريم الطيرة وأنها من الشرك، لاعتقادهم أن الطيرة تجلب لهم نفعاً وتدفع عنهم ضراً، فإذا عملوا بموجبها فكأنهم أشركوا بالله في ذلك، ويسمى شركاً خفيفاً. ومن اعتقد أن شيئاً سوى الله ينفع أو يضر بالاستقلال فقد أشرك شركاً جلياً، قال القاضي: إنما سماها شركاً لأنهم كانوا يرون ما يتشاءمون به سبباً مؤثراً في حصول المكروه، وملاحظة الأسباب في الجملة شرك خفي، فكيف إذا انضم إليها جهالة وسوء اعتقاد. وقوله: «وما منا إلا» أي وما منا أحد إلا من يخطر له من جهة الطيرة شيء ما لتعود النفوس بها، فحذف المستثنى كراهة أن يتلفظ به. قال الخطابي: «معناه إلا من قد يعتريه الطيرة ويسبق إلى قوله الكراهة فيه، فحذف اختصاراً للكلام واعتماداً على فهم السامع». وهذه الجملة ليست من قول النبي ﷺ، وإنما هي من قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كما قال المصنف رحمه الله تعالى. وقال ابن القيم: «وهذه اللفظة: وما منا إلى آخره، مدرجة في الحديث، ليست من كلام النبي ﷺ، كذا قاله بعض الحفاظ، وهو الصواب، فإن الطيرة نوع من الشرك كما هو في أثر مرفوع: من ردته الطيرة فقد قارف الشرك. وفي صحيح مسلم من حديث =

من قول ابن مسعود. ولأحمد من حديث ابن عمرو: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك، قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن يقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك».

وله من حديث الفضل بن العباس رضي الله عنه: «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك»[1].

«فيه مسائل»: الأولى: التنبيه على قوله ﴿ألا إنما طائرهم عند اللّه﴾ مع قوله ﴿طائركم معكم﴾ الثانية: نفي العدوى. الثالثة: نفي الطيرة. الرابعة: نفي الهامة. الخامسة: نفي الصفر. السادسة: أن الفأل ليس من ذلك، بل مستحب. السابعة: تفسير الفأل. الثامنة: أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر، بل يذهبه الله بالتوكل. التاسعة: ذكر ما يقول من وجده. العاشرة: التصريح بأن الطيرة شرك. الحادية عشرة: تفسير الطيرة المذمومة.

= معاوية بن الحكم السلمي انه قال: يا رسول الله ومنا أناس يتطيرون، فقال: ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنه. فأخبر أن تأذيه وتشاؤمه بالتطير انما هو في نفسه وعقيدته لا في المتطير به، فوهمه وخوفه واشراكه هو الذي يطيره ويصده، لا ما رآه وسمعه، فأوضح ﷺ لأمته الأمر، وبين لهم فساد الطيرة، ليعلموا أن الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة، ولا فيها دلالة، ولا نصبها سبباً لما يخافونه ويحذرونه، لتطمئن قلوبهم ولتسكن نفوسهم إلى وحدانيته تعالى التي أرسل بها رسله وأنزل بها كتبه، وخلق لأجلها السموات والأرض، وعمر الدارين الجنة والنار، فبسبب التوحيد ومن أجله جعل الجنة دار التوحيد وموجباته وحقوقه، والنار دار الشرك ولوازمه وموجباته، فقطع ﷺ علق الشرك من قلوبهم لئلا يبقى فيها علقة منها، ولا يتلبسوا بعمل من اعمال اهله البتة» انتهى ببعض تصرف. وقوله: «ولكن الله يذهبه بالتوكل» أي يذهبه الله بسبب الاعتماد عليه والاستناد إليه سبحانه.

(١) هذا حد الطيرة المنهى عنها، لأنها ما يحمل الإنسان على المضي فيما أراده أو يمنعه من المضي فيه كذلك، بخلاف الفأل الذي كان يحبه رسول الله ﷺ، فإن فيه نوع بشارة. فيسر به العبد ولا يعتمد عليه، بخلاف ما يمضيه أو يرده، فإن للقلب فيه نوع اعتماد، وهذا فرق واضح، فاحفظه هداك الله.

باب ما جاء في التنجيم[1]

قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: «خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وكلف ما لا علم له به» انتهى[2] وكره

---

(١) قال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى: التنجيم هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية. وفي كشف الظنون: «هو علم يعرف به الاستدلال على حوادث علم الكون والفساد بالتشكلات الفلكية، وهي أوضاع الأفلاك والكواكب، كالمقارنة والمقابلة والتثليث والتسديس والتربيع إلى غير ذلك. وهو عند الإطلاق ينقسم إلى ثلاثة أقسام: حسابيات، وطبيعيات، ووهميات». وقد تقدم بيان ما يجوز منه وما لا يجوز عن الخطابي وغيره وتفصيل ذلك، في «باب بيان شيء من أنواع السحر» فارجع إليه، وسيأتي زيادة على ذلك أيضاً. والله أعلم.

(٢) ذكر هذا الأثر البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه معلقاً. وأخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وغيرهم، قال في الشرح: «وأخرجه الخطيب في كتاب النجوم عن قتادة ولفظه قال: إنما جعل الله هذه النجوم لثلاث خصال: جعلها زينة للسماء، وجعلها يهتدى بها، وجعلها رجوماً للشياطين، فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه، وأخطأ حظه، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به، وإن ناساً جهلة بأمر الله قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة: من أعرس بنجم كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا. ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود والطويل والقصير والحسن والدميم، وما علم هذه النجوم وهذه الدابة وهذا الطائر بشيء من هذا الغيب! ولو أن أحداً علم الغيب لعلمه آدم الذي خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء. فتأمل ما أنكر هذا الإمام مما حدث من هذه المنكرات في عصر التابعين، وما زال الشر يزداد في كل عصر بعدهم حتى بلغ الغاية في هذه الأعصار، وعمت به البلوى في جميع الأمصار، فمقل ومستكثر وعز في الناس من ينكره، وعظمت المصيبة في الدين، فإنا لله وإنا إليه راجعون وقوله: خلق الله هذه النجوم لثلاث. قال تعالى: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين﴾ أي ولقد زينا السماء الدنيا منكم، أي التي هي أتم دنواً منكم من غيرها، فدنوها بالنسبة إلى ما=

قتادة تعلم منازل القمر ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما. ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق[1].

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة

= تحت، وأما بالنسبة إلى من حول العرش فبالعكس. والمصابيح، جمع مصباح، وهو السراج، تجوز به عن الكواكب. وتنكيرها للتعظيم، أي بمصابيح عظيمة ليست كمصابيحكم التي تعرفونها. والضمير في «جعلناها» للمصابيح لا للسماء الدنيا. والرجوم: جمع رجم بالفتح، وهو مصدر سمي به ما يرجم به، أي يرمى، فصار له حكم الأسماء الجامدة ولذا جمع. والمراد بالشياطين مسترقو السمع. وقال تعالى: ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾ والعلامات الدلالات على الجهات يهتدي بها الناس في ذلك. كما قال الله عز وجل: ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾ أي لتعرفوا بها جهة قصدكم، وليس المراد يهتدى بها في علم الغيب كما يزعمه المنجمون، ويبطل دعواهم زيادة على ما تقدم قول قتادة: فمن تأول فيها غير ذلك، أي زعم فيها غير ما ذكر الله في كتابه من هذه الثلاث، فقد أخطأ، حيث زعم شيئاً ما أنزل الله به من سلطان، وأضاع نصيبه من كل خير، لأنه شغل نفسه بما يضره ولا ينفعه».

(١) قال الخطابي فيما يتعلق بعلم النجوم من حيث القبلة وجهتها: «أما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والحد الذي يعرف به الزوال وتعلم به جهة القبلة فإنه غير داخل فيما نهي عنه، وذلك أن معرفة رصد الظل ليس شيئاً بأكثر من أن الظل ما دام متناقصاً فالشمس صاعدة نحو وسط السماء من الأفق الشرقي، وإذا أخذ في الزيادة فالشمس هابطة من وسط السماء نحو الأفق الغربي. وهذا علم يصح إدراكه بالمشاهدة، إلا أن اهل هذه الصناعة قد دبروها بما اتخذوه من الآلات التي يستغني الناظر عن مراعاة مدته ومراصدته. وأما ما يستدل به في النجوم على جهة القبلة فإنها كواكب رصدها اهل الخبرة من الأئمة الذين لا نشك في عنايتهم بأمر الدين ومعرفتهم بها وصدقهم فيما أخبروا به عنها، مثل أن يشاهدها بحضرة الكعبة، أو يشاهدها على حال الغيبة عنها، فكان ادراكهم الدلالة منها بالمعاينة، وادراكنا ذلك بقبول خبرهم، إذ كانوا عندنا غير متهمين في دينهم، ولا مقصرين في معرفتهم». =

مدمن الخمر، ومصدق بالسحر، وقاطع الرحم». رواه أحمد وابن حبان في صحيحه[1].

«**فيه مسائل**»: الأولى: الحكمة في خلق النجوم. الثانية: الرد على من زعم غير ذلك. الثالثة: ذكر الخلاف في تعلم المنازل. الرابعة: الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر، ولو عرف أنه باطل.

باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء[2]

وقول الله تعالى. ﴿وَتَجْعَلونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ

---

(١) الحديث رواه أيضاً الطبراني في معجمه الكبير، والحاكم وقال: صحيح وأقره الحافظ الذهبي وتمامه: «ومن مات وهو يدمن الخمر سقاه الله من نهر الغوطة، نهر يجري من فروج المومسات، ويؤذي أهل النار ريح فروجهن». وقوله «ثلاثة لا يدخلون الجنة» هذا من نصوص الوعيد التي كره السلف الصالح رضي الله عنهم تأويلها، وقالوا: أمرّوها كما جاءت، وهو يرجع إلى مشيئة الله سبحانه وتعالى، فإن عذبه فباستحقاقه ذلك، وإن غفر له فبفضله وعفوه ورحمته. ومعنى قوله «مدمن الخمر» المداوم على شربها حتى مات ولم يتب. «وقطع الرحم» عدم صلة الأقارب بما يليق بهم، قال تعالى: ﴿فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾ وقطع الرحم من الكبائر. وقوله «ومصدق بالسحر» أي بجميع أنواعه، ومنه النجوم، وهذا وجه مطابقة الحديث للترجمة. قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي في كتابه عن الكبائر: «ويدخل فيه تعلم السيما وعملها، وعقد المرء عن زوجته، ومحبة الزوج لامرأته وبغضها وبغضه، وأشباه ذلك، بكلمات مجهولة. قال: وكثير من الكبائر بل عامتها إلا الأقل يجهل خلق من الأمة تحريمه، وما بلغه الزجر فيه ولا الوعيد عليه».

(٢) الاستسقاء: طلب السقيا، والمراد به هنا نسبة السقيا ومجيء المطر إلى الأنواء، وهي جمع نوء. قال النووي في شرح مسلم: «وأما النوء ففيه كلام طويل قد لخصه الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله فقال: النوء في اصله ليس هو نفس الكوكب، فإنه مصدر ناء النجم ينوء نوءاً أي سقط وغاب، وقيل أي نهض =

تُكَذِّبُون﴾[1] .

= وطلع. وبيان ذلك أن ثمانية وعشرين نجماً معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها، وهي المعروفة بمنازل القمر الثمانية والعشرين، يسقط في كل ثلاث عشرة ليلة منها نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته. وكان اهل الجاهلية إذا كان عند ذلك مطر ينسبونه إلى الساقط الغارب منهما، وقال الأصمعي: إلى الطالع منهما، قال أبو عبيد: ولم أسمع أحداً ينسب النوء للسقوط إلا في هذا الموضع، ثم إن النجم نفسه قد يسمى نوءاً تسمية الفاعل بالمصدر، قال أبو اسحاق الزجاج في بعض أماليه: «الساقطة في المغرب هي الأنواء، والطالعة في المشرق هي البوارح» وذكر ابن الأثير في النهاية قريباً من هذا إلا أنه قال: «هي ثمان وعشرون منزلة، ينزل القمر كل ليلة منزلة منها».

(١) ونظم الآيات القرآنية التي قبلها هكذا: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم. وإنه لقسم لو تعلمون عظيم. إنه لقرآن كريم. في كتاب مكنون. لا يمسه إلا المطهرون. تنزيل من رب العالمين. أفبهذا الحديث أنتم مدهنون. وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾. أخبر سبحانه وتعالى بأن الأمر عظيم لا يحتاج إلى قسم ما، فضلاً عن هذا القسم العظيم وهو موقع النجوم، أي مساقط كواكب السماء ومغاربها، كما جاء في رواية عن قتادة والحسن أن الوقوع بمعنى السقوط والغروب، وتخصيصها بالقسم لما في غروبها من زوال أثرها والدلالة على مؤثر دائم لا يتغير، ولذا استدل الخليل صلوات الله وسلامه عليه بالأفول على وجود الصانع عز وجل، أو لأن ذلك وقت قيام المبتهلين إليه تعالى وأوان نزول الرحمة والرضوان عليهم، روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة مرفوعاً: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له». وقال جماعة منهم ابن عباس: والنجوم نجوم القرآن، ومواقعها أوقات نزولها. روى النسائي وابن جرير والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عنه أنه قال: «أنزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملة واحدة ثم فرق في السنين». وفي لفظ: «ثم نزل من الدنيا إلى الأرض نجوماً ثم قرأ ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾». وأيد هذا بأن الضمير في قوله تعالى بعد: ﴿إنه لقرآن كريم﴾ يعود حينئذٍ على ما يفهم من مواقع النجوم حتى يكاد يعد كالمذكور صريحاً. وقوله: ﴿إنه لقرآن كريم﴾ تعظيم للقسم مقرر مؤكد له، وجواب «لو» إما متروك أريد به نفي علمهم، أو محذوف ثقة بظهوره، أي لعظمتموه أو لعملتم بموجبه. وقوله تعالى: ﴿في كتاب مكنون﴾ =

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه. أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية[1] لا يتركونهن. الفخر بالأحساب،

= وصف آخر للقرآن، أي كائن في كتاب مصون عن غير المقربين من الملائكة عليهم السلام، لا يطلع عليه من سواهم، فالمراد به اللوح المحفوظ، كما روي عن الربيع بن أنس وغيره، وقيل في كتاب مصون عن التبديل والتغيير، وهو المصحف الذي بأيدينا. وقوله تعالى: ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ إما صفة بعد صفة لكتاب، مراداً به اللوح، فالمراد بالمطهرون الملائكة عليهم السلام، أي المنزهون عن كدر الطبيعة ودنس الحظوظ النفسية، وإما صفة أُخرى للقرآن، والمراد بالمطهرون من الحدث الأصغر والأكبر، بحمل الطهارة على الشرعية. والمعنى لا ينبغي أن يمس القرآن إلا من هو على طهارة من الناس، وهو بمعنى النهي، نظير قوله: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية﴾ بل هو أبلغ من النهي الصريح. وقوله عز وجل: ﴿تنزيل من رب العالمين﴾ صفة أُخرى للقرآن أي منزل. وقوله جل ذكره: ﴿أفبهذا الحديث﴾ أي أفبهذا الحديث الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لإعظامه وإجلاله والإيمان بما تضمنه وأرشد إليه وهو القرآن الحكيم ﴿أنتم مدهنون﴾ متهاونون به، وعن ابن عباس والزجاج: مدهنون مكذبون، وعن مجاهد: أي منافقون في التصديق به تقولون للمؤمنين آمنا به وإذا خلوتم إلى إخوانكم قلتم إنا معكم. فعلى الأول الخطاب للكفار، وعلى الثاني للمنافقين والأول أولى قوله: ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ أي شكركم، تقولون مطرنا بنجم كذا وكذا وبنوء كذا وكذا، فأنزل الله تعالى وتجعلون شكركم أنكم إذا مطرتم تكذبون، ومعنى جعل شكرهم التكذيب: جعل التكذيب مكان الشكر، فكأنه عينه عندهم، فهو من باب * تحية بينهم ضرب وجيع * وأكثر الروايات أن قوله تعالى: ﴿وتجعلون﴾ الخ نزل في القائلين مطرنا بنوء كذا، من غير تعرض لما قبل. وأخرج مسلم وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس قال: «مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ: أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر. قالوا هذه رحمة وضعها الله، وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا، فنزلت هذه الآية ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم - حتى بلغ - وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾». قال العلامة ابن القيم: أي تجعلون حظكم من هذا الرزق الذي به حياتكم التكذيب به، يعني القرآن. وبهذا يظهر لك وجه استدلال المؤلف بالآية على ذلك. والله أعلم.

(١) قال العلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد: «ستفعلها هذه الأمة =

والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة، وقال. النائحة إذا

= إما مع العلم بتحريمها أو مع الجهل بذلك، مع كونها من الأعمال الجاهلية المذمومة المكروهة المحرمة. والمراد بالجاهلية هنا ما قبل المبعث، سمُّوا بذلك لفرط جهلهم. وكل ما يخالف ما جاء به الرسول ﷺ فهو جاهلية، فقد خالفهم رسول الله ﷺ في كثير من أمورهم أو اكثرها، وذلك يدرك بتدبر القرآن ومعرفة السنة. ولشيخنا رحمه الله مصنف لطيف ذكر فيه ما خالف رسول الله ﷺ فيه أهل الجاهلية، فبلغ مائة وعشرين مسألة. قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: أخبر أن بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم، ذماً لمن لم يتركه. وهذا يقتضي أن كل ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في دين الإسلام وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها. ومعلوم أن اضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم، وهذا كقوله تعالى: ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة. وقوله: والفخر بالأحساب. أي التعاظم على الناس بالآباء ومآثرهم، وذلك جهل عظيم، إذ لا كرم إلا بالتقوى كما قال تعالى: ﴿إن اكرمكم عند الله اتقاكم﴾ وقال تعالى: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً﴾ الآية. ولأبي داود عن أبي هريرة مرفوعاً: أن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء. إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي الناس بنو آدم. وآدم خلق من تراب. ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان. قوله: والطعن في الأنساب. أي الوقوع فيها بالعيب والتنقص. ولما عير أبو ذر رضي الله عنه رجلاً بأمه قال النبي ﷺ: أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية. فدل على أن الطعن في الأنساب من عمل الجاهلية. وأن المسلم قد يكون فيه شيء من هذه الخصال المسماة بجاهلية ويهودية ونصرانية ولا يوجب ذلك كفره ولا فسقه، قاله شيخ الإسلام رحمه الله تعالى. قوله: الاستسقاء بالنجوم، أي نسبة المطر إلى النوء وهو سقوط النجم. كما أخرج الإمام احمد وابن جرير عن جابر السوائي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أخاف على أُمتي ثلاثاً. استسقاء بالنجوم، وحيف السلطان، وتكذيباً بالقدر، فإذا قال قائلهم مطرنا بنجم كذا أو بنوء كذا، فلا يخلو اما أن يعتقد أن له تأثيراً في انزال المطر، فهذا شرك وكفر. وهذا هو الذي يعتقده اهل الجاهلية. واما أن يقول مطرنا بنوء كذا مثلاً لكن مع اعتقاده أن المؤثر هو الله وحده، لكنه أجرى العادة بوجود المطر عند سقوط ذلك النجم، والصحيح أنه=

لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب» رواه مسلم. ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال. «صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب[1]، وأما من

= يحرم نسبة ذلك إلى النجم ولو على طريق المجاز، فقد صرح ابن مفلح في الفروع بأنه يحرم قول مطرنا بنوء كذا، وجزم في الإنصاف بتحريمه ولو على طريق المجاز، ولم يذكرا خلافاً، وذلك أن القائل لذلك نسب ما هو من فعل الله تعالى الذي لا يقدر عليه غيره إلى خلق مسخر لا ينفع ولا يضر ولا قدرة له على شيء، فيكون ذلك شركاً أصغر. قوله والنياحة. أي رفع الصوت بالندب على الميت. لأنها تسخط بقضاء الله، وذلك ينافي الصبر الواجب، وهي من الكبائر لشدة الوعيد والعقوبة. قوله: النائحةإذا لم تتب قبل موتها، فيه تنبيه على أن التوبة تكفر الذنب وإن عظم، وهذا مجمع عليه في الجملة، ويكفر أيضاً بالحسنات الماحية والمصائب ودعاء المسلمين بعضهم لبعض، وبالشفاعة بإذن الله، وعفو الله عمن شاء ممن لا يشرك به شيئاً. وفي الحديث عن ابن عمر مرفوعاً: أن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر رواه احمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان. قوله: تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب، قال القرطبي: السربال واحد السرابيل، وهي الثياب والقمص، يعنى أنهن يلطخن بالقطران فيكون لهن كالقمص حتى يكون اشتعال النار بأجسادهن أعظم ورائحتهن أنتن وألمهن بسبب الجرب اشد». والقطران ـ بفتح القاف وكسر الطاء ـ ما يتقطر من الهناء فيدهن به الإبل، وعن ابن عباس أنه هو النحاس المذاب. قوله: «ودرع من جرب» يعني يسلط على اعضائها الجرب والحكة بحيث يغطي بدنها تغطية الدرع وهو القميص، لأنها كانت تجرح بكلماتها المحرقة قلوب ذوي المصيبات.

(١) قوله: «صلى لنا» اللام بمعنى الباء أي صلى بنا، قال الحافظ بن حجر: وفيه اطلاق ذلك مجازاً وانما الصلاة لله. «والحديبية» قال النووي: فيها لغتان تخفيف الياء وتشديدها، والتخفيف هو الصحيح المشهور المختار، وهي بضم الخاء المهملة وفتح الدال وياء ساكنة وباء موحدة مكسورة، قرية سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ أصحابه عندها، وبينها وبين مكة مرحلة، =

قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب». ولهما من

وبعضها في الحل، وهي أبعد الحل من البيت. وقوله «على إثر سماء» هو بكسر الهمزة واسكان الثاء وبفتحها جميعاً لغتان مشهورتان. والسماء المطر، لأنه ينزل من السحاب، ويطلق السماء على كل ما ارتفع. وقوله «فلما انصرف» أي من صلاته التفت إلى المأمومين فقال: «هل تدرون» الاستفهام للتنبيه، وفي النسائي «ألم تسمعوا ما قال ربكم الليلة؟»، وهذا الحديث يدخل في الأحاديث القدسية. وقوله: «قالوا الله ورسوله أعلم» هذه صفة المؤمن العاقل إذا سئل عما لا يعلم وكل العلم إلى عالمه وما أحسن أدب الصحابة مع نبيهم، اللهم ارزقنا الأخلاق المرضية والآداب العالية. وقوله: «أصبح من عبادي مؤمن، الإضافة هنا للعموم بدليل قوله: مؤمن وكافر» وكقوله تعالى: ﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾. قال النووي في شرح مسلم. وأما معنى الحديث، فاختلف العلماء في كفر من قال مطرنا بنوء كذا على قولين: أحدهما هو كفر بالله سبحانه وتعالى سالب لأصل الإيمان مخرج من ملة الإسلام، قالوا: وهذا فيمن قال ذلك معتقد أن الكوكب فاعل مدبر منشيء للمطر، كما كان بعض أهل الجاهلية يزعم، ومن اعتقد هذا فلا شك في كفره، وهذا القول هو الذي ذهب إليه جماهير العلماء والشافعي منهم وهو ظاهر الحديث، قالوا: وعلى هذا لو قال مطرنا بنوء كذا معتقداً أنه من الله تعالى ورحمته وأن النوء ميقات له وعلامة اعتباراً بالعادة، فكأنه قال مطرنا في وقت كذا، فهذا لا يكفر، واختلفوا في كراهته، والأظهر كراهته، لكنها كراهة تنزيه لا إثم فيها، وسبب الكراهة أنها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بصاحبها، ولأنها شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم. والقول الثاني في أصل تأويل الحديث: أن المراد كفر نعمة الله تعالى لاقتصاره على إضافة الغيث إلى الكوكب، وهذا فيمن لا يعتقد تدبير الكوكب. ويؤيد هذا التأويل الرواية الأخيرة في الباب «أصبح من الناس شاكر وكافر» وفي الرواية الأخرى «ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين»، وفي الرواية الأخرى: «ما أنزل الله تعالى من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين»، فقوله: «بها» يدل على أنه كفر بالنعمة والله أعلم. أقول: مقتضى بيان سبب الكراهة أن الكراهة كراهة تحريم لا تنزيه، لأن من قال كلمة مترددة بين الكفر وغيره لا يصح أن يقال لا إثم عليه، فإن هذا للقائل يفتح بذلك باب التساهل والتمادي في ذلك، فالأظهر أنه يأثم بذلك، والله أعلم.

حديث ابن عباس معناه، وفيه قال بعضهم: «لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآية. ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ إلى قوله ﴿تكذبون﴾.

«**فيه مسائل**»: الأولى: تفسير آية الواقعة. الثانية: ذكر الأربع التي من أمر الجاهلية. الثالثة: ذكر الكفر في بعضها. الرابعة: أن من الكفر ما لا يخرج عن الملة. الخامسة: قوله «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر» بسبب نزول النعمة. السادسة: التفطن للإيمان في هذا الموضع. السابعة: التفطن للكفر في هذا الموضع. الثامنة: التفطن لقوله: «لقد صدق نوء كذا وكذا». التاسعة: إخراج العالم للتعليم للمسألة بالاستفهام عنها، لقوله أتدرون ماذا قال ربكم؟ العاشرة: وعيد النائحة.

باب قول الله تعالى

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْداداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾[1].

وقوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبنَاؤُكُمْ - إلى قوله - أَحَبَّ إِلَيكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[2].

---

(١) قال ابن القيم في مدارج السالكين: «أخبر تعالى أن من أحب من دون الله شيئاً كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً، فهذا ند في المحبة لا في الخلق والربوبية، فإن أحداً من اهل الأرض لا يثبت هذا الند، بخلاف ند المحبة، فإن اكثر الناس قد اتخذوا من دون الله أنداداً في الحب والتعظيم. ثم قال تعالى: ﴿والذين آمنوا أشد حباً لله﴾ وفي تقدير الآية قولان: أحدهما: والذين آمنوا أشد حباً لله من أصحاب الأنداد لأندادهم وآلهتهم التي يحبونها ويعظمونها من دون الله. والثاني والذين آمنوا أشد حباً لله من محبة المشركين بالأنداد لله، فإن محبة المؤمنين خالصة، ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت اندادهم بقسط منها، والمحبة الخالصة أشد من المشتركة».

(٢) قول الله جل وعلا: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال

عن أنس. أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين»[1] أخرجاه.

ولهما عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب

اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله﴾ الآية: خطاب للنبي ﷺ وأمر له عليه السلام بأن يثبت المؤمنين ويقوي عزائمهم على الانتهاء عما نهوا عنه من موالاة الآباء والإخوان. ويزهدهم فيهم وفيمن يجري مجراهم، ويقطع علائقهم عن زخارف الدنيا الدنيئة على وجه التوبيخ والترهيب. وقوله: ﴿وأموال اقترفتموها﴾ أي اكتسبتموها، وأصل الاقتراف اقتطاع الشيء من مكانه إلى غيره. ﴿وتجارة﴾ أي أمتعة اشتريتموها للتجارة والربح ﴿تخشون كسادها﴾ بفوات وقت رواجها ﴿ومساكن ترضونها﴾ أي منازل تعجبكم الإقامة فيها، ﴿أحب إليكم من الله ورسوله﴾ بالحب الاختياري المستتبع لأثره، الذي هو الملازمة وتقديم الطاعة، لا ميل الطبع فإنه أمر جلي لا يمكن تركه ولا يؤاخذ عليه، ولا يكلف الإنسان بالامتناع عنه، والله أعلم.

(١) نقل النووي كلام الخطابي في الحديث قال: «قال الإمام ابو سليمان الخطابي: لم يرد به حب الطبع، بل أراد به الاختيار، لأن حب الإنسان نفسه طبع، ولا سبيل إلى قلبه، قال: فمعناه لا تصدق في حبي حتى تفنى في طاعتي نفسك وتؤثر رضاي على هواك وإن كان فيه هلاكك، هذا كلام الخطابي. وقال ابن بطال والقاضي عياض وغيرهما رحمة الله عليهم: المحبة ثلاثة أقسام: محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد، ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد، ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس، فجمع ﷺ أصناف المحبة في محبته. قال ابن بطال رحمه الله: ومعنى الحديث أن من استكمل الإيمان علم أن حق النبي ﷺ آكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين، لأنه به ﷺ استنقذنا من النار وهدانا من الضلال. قال القاضي عياض رحمة الله تعالى: ومن محبته ﷺ نصرة سنته والذب عن شريعته وتمني حضور حياته فيبذل ماله ونفسه دونه، قال: وإذا تبين ما ذكرناه تبين أن حقيقة الإيمان لا تتم إلا بذلك، ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق إعلاء قدر النبي ﷺ ومنزلته على والد وولد، ومحسن ومفضل، ومن لم يعتقد هذا واعتقد ما سواه فليس بمؤمن».

وفي رواية. «لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى» إلى آخره.

= غـداً ألـقـى الأحـبـة مـحـمـدا وحـزبـه

فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء. وهي حلاوة الإيمان. ومنها حديث الصحابي الذي سرق فرسه بليل وهو في الصلاة، فرأى السارق حين اخذه فلم يقطع لذلك صلاته، فقيل له في ذلك؟ فقال: ما كنت فيه اكبر من ذلك. ولا ذاك إلا للحلاوة التي وجدها محسوسة في وقته ذلك. ومنها حديث الصحابيين اللذين جعلهما النبي ﷺ في بعض مغازيه ليلة يحرسان جيش المسلمين، فنام احدهما وقام الآخر يصلي، فإذا الجاسوس من قبل العدو قد اقبل، فرآهما، فكبد الجاسوس القوس ورمى الصحابي فأصابه، فبقي على صلاته ولم يقطعها، ثم رماه ثانية فأصابه، فلم يقطع صلاته، ثم رماه ثالثة فأصابه، فعند ذلك ايقظ صاحبه، وقال: لولا أني خفت على المسلمين ما قطعت صلاتي. وما ذاك إلا لشدة ما وجد فيها من الحلاوة حتى اذهبت عنه ما يجده من الم السهام (ومثل هذا ما حكي عن كثير من اهل المعاملات يطول الكلام عليه وفيما ذكرناه كفاية، إلى آخر ما ذكره من الوجوه) ثم قال: فلأجل هذه النسبة وهذا الاتحاد الذي بين الشجرة والإيمان عبر عليه الصلاة والسلام في الحديث بالحلاوة ولم يعبر بغيرها، ليقع المثال في كل الحالات. ومنه قوله عليه السلام: «الناس كشجر ذات جنا ويوشك أن يعود كشجر ذات شوك» الحديث، فشبههم عليه السلام ايضاً بالشجر، وهم كذلك لا شك فيه، لأن من تقدم من السلف كان ايمانهم كاملاً بتتبعهم للأمر والنهي وحبهم لله ورسوله ﷺ والنصيحة التي كانت بينهم، حتى لقد كانوا إذا التقى بعضهم مع بعض يقولون: تعال نؤمن، فكأن شجرة ايمانهم تناهت في الطيب والحلاوة. واما اليوم فقد ذهب ذلك، وظهر ما اخبر به عليه السلام لرجوعهم كشجر ذات شوك، لعدم اتباعهم للأمر والنهي وترك النصيحة بينهم والغش الذي في صدورهم، فرجع موضع النصيحة غشاً، وموضع الامتثال مخالفة، فلم يبق معهم من صفة الايمان في غالب احوالهم إلا النطق بالكلمة، وما عداها من الأفعال بضد ما يقتضيه الايمان، فبقي لهم الأصل وذهبت ثمرته التي هي الأعمال، كما هي شجرة السدر مع شجرة الثمر إذا ابدلت مكانها، فالأولى كانت تطعم الثمر وله حلاوة، والثانية تنبت الشوك، هذا هو حال عامتهم اليوم، اللهم إلا القليل النادر، لقوله عليه السلام: «لا تزال طائفة من أُمتي ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة لا يضرهم من خالفهم» فهذه الطائفة التي أخبر بها عليه السلام هي التي لم تزل =

المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار»[1].

---

(١) هذا حديث عظيم وأصل من أصول الإسلام. قال العلماء رحمهم الله تعالى: معنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في رضى الله عز وجل ورسوله ﷺ، وإيثار ذلك على عرض الدنيا، ومحبة العبد ربه سبحانه وتعالى بفعل طاعته وترك مخالفته، وكذلك محبة رسوله ﷺ. ولا تصبح المحبة لله ورسوله ﷺ حقيقة وحب الآدمي في الله ورسوله ﷺ وكراهة الرجوع إلى الكفر إلا لمن قوي بالإيمان يقينه واطمأنت به نفسه وانشرح له صدره وخالط لحمه ودمه. وهذا هو الذي وجد حلاوته. والحب في الله من ثمرات حب الله تعالي اهـ. من كلام القاضي عياض رحمه الله تعالى باختصار وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم من المهاجرين والأنصار في عهد النبي ﷺ وعهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما يؤثر بعضهم بعضاً على نفسه محبة في الله وتقرباً إليه، كما قال تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾. وفي سنن ابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لقد رأيتنا على عهد رسول الله ﷺ وما منا أحد يرى أنه احق بديناره ودرهمه من اخيه المسلم». قال الإمام الورع ابو محمد عبد الله ابن ابي جمرة في كتابه «بهجة النفوس»: ظاهر الحديث يدل على أن الإيمان على قسمين: بحلاوة وبغير حلاوة ومنه قوله عليه السلام: «الإيمان إيمانان: إيمان لا يدخل صاحبه النار، وإيمان لا يخلد صاحبه في النار». فالإيمان الذي لا يدخل صاحبه في النار هو ما كان بغير حلاوة. والكلام عليه من وجوه: [ونقتصر على ما يتعلق بالموضوع] (الوجه الأول): الحلاوة المذكورة هل هي محسوسة أو معنوية؟ قد اختلف العلماء في ذلك، فحملها قوم على المعنى وهم الفقهاء، وحملها قوم على المحسوس وأبقوا اللفظ على ظاهره من غير أن يتأولوا وهم أهل الصفة، والصواب معهم في ذلك والله أعلم، لأن ما ذهبوا إليه أبقوا به لفظ الحديث على ظاهره من غير تأويل، وهو أحسن من التأويل، ما لم يعارض لظاهر اللفظ معارض. ويشهد لما ذهبوا إليه أحوال الصحابة رضي الله عنهم والسلف الصالح واهل المعاملات، لأنه قد حكي عنهم أنهم وجدوا الحلاوة محسوسة، فمن جملة ما حكي في ذلك حديث بلال رضي الله عنه حين صنع به ما صنع في الرمضاء إكراهاً على الكفر وهو يقول: أحد أحد، فمزج مرارة العذاب بحلاوة الإيمان، وكذلك ايضاً عند موته، اهله يقولون: واكرباه، وهو يقول: واطرباه. =

وعن ابن عباس. «من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك[١]، ولن يجد عبد طعم الإيمان، وإن كثرت صلاته وصومه، حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً»[٢] رواه ابن جرير.

وقال ابن عباس في قوله (وتقطعت بهم الأسباب) قال: المودة[٣].

«فيه مسائل»: الأولى: تفسير آية البقرة. الثانية: تفسير آية براءة[٤].

= ثمرة تطعم وتتناهى في الحلاوة كما كان السلف رضي الله عنهم، ولولاهم ما امطرت السماء قطرة، ولا انبتت خضرة، ولوقع الهلاك بمن تقدم ذكرهم، ولكنه عز وجل يمهلهم لمجاورتهم لأهل الإيمان المتحققين، اكراماً لأوليائه وترفيعاً. جعلنا الله من اوليائه بمنه ويمنه.

(١) الولاية ـ بفتح الواو ـ الأخوة والمحبة والنصرة، وبالكسر الإنابة، والمراد هنا الأول، وروى أحمد والطبراني عن النبي ﷺ قال: «لا يجد العبد صريح الإيمان حتى يحب لله ويبغض لله، فإذا احب لله وابغض لله فقد استحق الولاية لله».

(٢) انظر يا اخي ـ حماني الله وإياك مخالفة الشرع الشريف واتباع الهوى والنفس الخبيثة ـ إلى قول ابن عباس رضي الله عنه، وهو في عصر الصحابة والقرن الأول المشهود له بالأخيرية، وقارن بينه وبين عصرنا هذا الفاسد اهله، فلقد وقعت الموالاة على الشرك والبدع والفسوق والعصيان، وقد وقع كل ما أخبر به الرسول ﷺ بقوله «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ» فنسأل الله السلامة في ديننا وأهلنا إنه بعباده رؤوف رحيم.

(٣) روى هذا الأثر عبد بن حميد وابن جرير والطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه. والمودة، أي التي كانت بينهم في الدنيا، خانتهم احوج ما كانوا إليها، وتبرأ بعضهم من بعض، كما قال الله عز وجل في كتابه: ﴿وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا، ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً﴾ الآية.

(٤) هي قوله تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾.

الثالثة: وجوب محبته ﷺ على النفس والأهل والمال. الرابعة: نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام. الخامسة. أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها. السادسة: اعمال القلب الأربعة التي لا تنال ولاية الله إلا بها، ولا يجد احد طعم الإيمان إلا بها. السابعة: فهم الصحابي للواقع: أن عامة المؤاخاة على امر الدنيا. الثامنة: تفسير ﴿وتقطعت بهم الأسباب﴾. التاسعة: أن من المشركين من يحب الله حباً شديداً. العاشرة: الوعيد على من كان الثمانية احب إليه من دينه. الحادية عشرة: أن من اتخذ نداً تساوي محبته محبة الله فهو الشرك الأكبر.

باب قول الله تعالى

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ[1]، فَلَا تَخَافُوهُمْ

---

(١) قوله: ﴿إنما ذلكم الشيطان﴾ الخطاب للمؤمنين، واسم الإشارة إلى المثبط، والشيطان: إبليس لأنه علم له، والمراد بالأولياء أبو سفيان وأصحابه، أو المتخلفون عن رسول الله ﷺ، والمعنى على الأول أي يخوفكم أولياءه بأن يعظهم في قلوبكم، وعلى الثاني أي يوقعهم في الخوف أو يخوفهم سفيان وأصحابه، ﴿فلا تخافوهم﴾ أي فلا تخافوا أولياءه الذين خوفكم إياهم (وخافون) في مخالفة أمري (إن كنتم مؤمنين)، لأن الإيمان يقتضي أن تؤثروا خوف الله تعالى على خوف الناس. قال ابن القيم: الخوف عبودية القلب فلا يصلح إلا لله، كالذل والإنابة والمحبة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب. والخوف عرفه الجنيد بأنه توقع العقوبة على مجاري الأنفاس. قال في مدارج السالكين في منزلة الخوف: وهي من أجل منازل الطريق وأنفعها للقلب، وهي فرض على كل أحد، قال الله تعالى: ﴿فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ وقال تعالى: ﴿فإياي فارهبون﴾ وقال تعالى: ﴿ولا تخشوا الناس واخشون﴾. وقال: الخوف المحمود الصادق ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عز وجل، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط. قال في الشرح: والخوف من حيث هو على ثلاثة أقسام: أحدها، خوف السر، وهو أن يخاف من غير الله من وثن أو طاغوت أن يصيبه بما يكره، كما قال تعالى =

وَخَافونِ إنْ كُنْتُمْ مُؤمِنينَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مسَاجِدَ اللَّه مَنْ آمَنَ باللَّه واليوم الآخِر وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وآتى الزَّكاة وَلم يَخْشَ إلَّا اللَّه﴾[1] الآية. وقوله: ﴿وَمِن النَّاسِ مَنْ يقول آمَنَّا باللَّهِ فَإذَا أُوذِيَ في اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ الناسِ كعذابِ اللَّهِ﴾[2] الآية.

عن قوم هود عليه السلام أنهم قالوا له: ﴿إن نقول إلا اعتراك بعض الهتنا بسوء، قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه، فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون﴾. وقال تعالى: ﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾. وهذا هو الواقع من عباد القبور ونحوها من الأوثان، يخافونها ويخوفون بها أهل التوحيد إذا أنكروا عبادتها وأمروا بإخلاص العبادة لله، وهذا ينافي التوحيد. الثاني: أن يترك الإنسان ما يجب عليه خوفاً من بعض الناس، فهذا محرم، وهو نوع من الشرك بالله المنافي لكمال التوحيد. وهذا هو سبب نزول هذه الآية. كما قال تعالى: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ الآيات، وفي الحديث: (إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: ما منعك إذا رأيت المنكر أن لا تغيره؟ فيقول: رب خشية الناس، فيقول: إياي كنت احق أن تخشى) الثالث الخوف الطبيعي، وهو الخوف من عدو أو سبع أو غير ذلك، فهذا لا يذم، كما قال تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿فخرج منها خائفاً يترقب﴾ الآية.

(١) أي إنما يليق بعمارة مساجد الله سبحانه وتعالى من آمن بالله واليوم الآخر على الوجه الذي نطق به الوحي، (وأقام الصلاة)، أي داومَ عليها مستوفية لأركانها وسننها على منهج الرسول ﷺ وأصحابه المصطفين الأخيار، (وآتى الزكاة)، أي اخرجها وأعطاها مستحقيها من الأصناف الثمانية. والمراد بالعمارة ما يعم مرمة ما استرم منها وقمها وكنسها وتنظيفها وتزيينها بالفرش، لا على وجه يشغل قلب المصلي عن الحضور، كما هي غالب المَساجِد الآن، وادامة العبادة والذكر ودراسة العلوم الشرعية فيها ونحو ذلك، وصيانها مما لم تبن له في نظر الشارع، كحديث الدنيا، والغناء على مآذنها كما هو معتاد الناس اليوم. والأذكار غير المشروعة، ورفع الأصوات فيها، يفعل ذلك ولا يخشى احداً إلا الله تعالى، فيعمل بموجب امره ونهيه، غير خائف في الله لومة لائم ولا عدوان ظالم.

(٢) قوله: ﴿ومن الناس﴾ أي بعض الناس، ﴿من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله﴾ =

وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: «إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس». رواه ابن حبان في صحيحه(٢).

= أي لاجله جل وعلا أو في سبيله، بأن عذبهم المشركون على الإيمان به كما حصل في مبدأ النبوة ﴿جعل فتنة الناس﴾، أي نزلوا ما يصيبهم من أذيتهم، ﴿كعذاب الله﴾، في الآخرة، فجزعوا من ذلك ولم يصبروا، وأطاعوا الناس وكفروا بالله تعالى، كما يطيع الله تعالى من يخاف عذابه سبحانه فيؤمن به، ﴿ولئن جاء نصر من ربك﴾ من فتح وغنيمة ﴿ليقولن إنا كنا معكم﴾ مشايعين لكم في الدين فأشركونا فيما حصل من الغنيمة، أو مقاتلين معكم ناصرين لكم، فرد الله عليهم ذلك بقوله: ﴿أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين﴾، أي لا يخفى عليه حالهم فيعلم بما في صدور العالمين من الأخلاق والنفاق، ومتى كان الرب تبارك وتعالى كذلك فلا يليق بحال الإنسان أن يخاف غيره. نسأل الله الصدق والإخلاص في العبادة لله وحده لا شريك له.

(١) الحديث لم يبين المؤلف من خرّجه، وقد رواه أبو نعيم في الحلية والبيهقي وأعله بمحمد بن مروان السدي وقال: ضعيف. وفيه أيضاً عطية العوفي، ذكره الذهبي في الضعفاء والمتروكين. وتمامه: «وإن الله بحكمته جعل الروح والفرح في الرضا واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط». ومعنى الحديث صحيح. وارضاء الناس بسخط الله هو أن تؤثر رضاهم على رضي الله، وذلك إذا لم يقم بقلبه من اعظام الله واجلاله وهيبته ما يمنعه من استجلاب رضا المخلوق بما يجلب له سخط خالقه وربه ومليكه الذي يتصرف في القلوب ويفرج الكروب ويغفر ما شاء من الذنوب، ولا شك أن هذا يدخل في انواع الشرك، نسأل الله السلامة.

(٢) الحديث رواه أيضاً الترمذي بلفظ قريب من هذا، ورواه أبو نعيم أيضاً. واعلم أن =

«فيه مسائل»: الأولى: تفسير آية آل عمران. الثانية: تفسير آية براءة. الثالثة: تفسير آية العنكبوت. الرابعة: أن اليقين يضعف ويقوى. الخامسة: علامة ضعفه، ومن ذلك هذه الثلاث. السادسة: أن اخلاص الخوف لله من الفرائض. السابعة: ذكر ثواب فعله. الثامنة: ذكر عقاب من تركه.

باب قول الله تعالى

﴿وعلى اللّه فَتَوَكَّلوا إنْ كُنْتُمْ مُؤمِنينَ﴾[1] الآية. وقوله:

= خير الناس من ارضى الله بسخط الناس، فعليك يا اخي بمجاهدة نفسك وكفها عن غيها، لأن من اتقى الله كفاه مؤنة الناس وكان في حرز منيع قال الله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ ومن ارضى الناس بسخط الله لمَ يغنوا عنه من الله شيئاً. قال الحافظ بن رجب: «فمن تحقق أن كل مخلوق فوق التراب فهو تراب، فكيف يقدم طاعة من هو تراب على طاعة رب الأرباب؟ أم كيف يرضي التراب بسخط الملك الوهاب؟ إن هذا لشيء عجاب».

(١) التوكل: الاعتماد، وهو من أعمال القلب، وتقديم المعمول يفيد الحصر. والمعنى إن كنتم مؤمنين فلا تعتمدوا إلا على الله وحده. ومن هذه الجهة استدل المصنف بأن التوكل فريضة يجب اخلاصه لله وحده لا شريك له، فالتوكل اجمع انواع العبادة واعظمها، لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة الخالصة، فإن العبد إذا اعتمد على الله في جميع اموره الدينية والدنيوية دون كل من سواه صح اخلاصه ومعاملته مع الله تعالى.

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً. قال ابن القيم في مدارج السالكين (ج٢ ص ٦٣ - ٦٤): «التوكل نصف الدين، ونصفه الثاني الإنابة، فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة. ومنزلته اوسع المنازل واجمعها، ولا تزال معمورة بالنازلين لسعة متعلق التوكل وكثرة حوائج العالمين، وعموم التوكل ووقوعه من المؤمنين والكفار والأبرار والفجار والطير والوحش والبهائم، فأهل السموات والأرض - المكلفون وغيرهم - في مقام التوكل وأن تباين متعلق توكلهم. فأولياؤه وخاصته يتوكلون عليه في حصول ما يرضيه منهم وفي اقامته في الخلق، فيتوكلون عليه في الإيمان ونصرة دينه واعلاء كلمته =

= وجهاد اعدائه، وفي محابه وتنفيذ اوامره، ودون هؤلاء من يتوكل عليه في استقامته في نفسه، وحفظ حاله مع الله فارغاً عن الناس، ودون هؤلاء من يتوكل عليه في معلوم يناله منه من رزق أو عافية أو نصر على عدو أو زوجة أو ولد ونحو ذلك، ودون هؤلاء من يتوكل عليه في حصول الإثم والفواحش، فإن اصحاب هذه المطالب لا ينالونها غالباً إلا بإستعانتهم بالله وتوكلهم عليه، بل قد يكون توكلهم عليه اقوى من توكل كثير من اصحاب الطاعات. ولهاذا يلقون انفسهم في المتالف والمهالك معتمدين على الله أن يسلمهم ويظفرهم بمطالبهم. فأفضل التوكل في الواجب، اعني واجب الحق وواجب الخلق وواجب النفس، واوسعه وانفعه التوكل في التأثير في الخارج في مصلحة دينية أو في دفع مفسدة دينية، وهو توكل الأنبياء في اقامة دين الله ودفع فساد المفسدين في الأرض، وهذا توكل ورثتهم. ثم الناس بعد في التوكل على حسب هممهم ومقاصدهم. فلنذكر معنى التوكل ودرجاته وما قيل فيه. قال الإمام احمد: التوكل عمل القلب. ومعنى ذلك أنه عمل قلبي ليس بقول اللسان ولا عمل الجوارح، ولا هو من باب العلوم والإدراكات. ومن الناس من يجعله من باب المعارف والعلوم، فيقول: هو علم القلب بكفاية الرب للعبد. ومنهم من يفسره بالسكون وخمود حركة القلب، فيقول: التوكل هو انطراح القلب بين يدي الرب، كانطراح الميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء، وهو ترك الاختيار، والاسترسال مع مجاري الأقدار. قال سهل: التوكل: الاسترسال مع الله على ما يريد. ومنهم من يفسره بالرضا، فيقول: هو الرضا بالمقدور. قال بشر الحافي: يقول أحدهم توكلت على الله، يكذب على الله، لو توكل على الله رضي بما يفعل الله. وسئل يحيى بن معاذ: متى يكون الرجل متوكلاً؟ فقال: إذا رضي بالله وكيلاً، ومنهم من يفسره بالثقة بالله والطمأنينة إليه والسكون إليه. ومنهم من جعله مركباً من أمرين أو أمور. قال أبو سعيد الخراز: التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب. وقال أبو تراب النخشبي: هو طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية والطمأنينة إلى الكفاية، فإن أعطي شكر، وإن منع صبر. فجعله مركباً من خمسة أمور. وأجمع القول على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب، فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها، وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد. قال سهل بن عبد الله: من طعن في الحركة فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان. فالتوكل حال النبي ﷺ، والكسب سنته، فمن عمل على حاله فلا يتركن سنته. فترك الأسباب=

﴿إِنَّمَا المؤمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّه وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[1] الآية.
وقوله: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾[2] الآية وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ على اللَّه فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

وعن ابن عباس قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل». قالها ابراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً﴾ الآية. رواه البخاري والنسائي.

«فيه مسائل»: الأولى: أن التوكل من الفرائض. الثانية: أنه من شروط الإيمان. الثالثة: تفسير آية الأنفال[3]. الرابعة: تفسير الآية في آخرها. الخامسة: تفسير آية الطلاق. السادسة: عظم شأن هذه الكلمة، وأنها قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومحمد ﷺ في الشدائد.

= المأمور بها قادح في التوكل، وقد تولى الحق ايصال العبد بها. وأما ترك الأسباب المباحة، فإن تركها لما هو أرجح منها مصلحة فممدوح، وإلا فهو مذموم».

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: وما رجا أحد مخلوقاً ولا توكل عليه إلا خاب ظنه فيه، فإنه مشرك ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾. وقال الشارح: «قلت: لكن التوكل على الله قسمان احدهما التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، كالذين يتوكلون على الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم، من نصر أو حفظ أو رزق أو شفاعة، فهذا شرك اكبر. الثاني التوكل في الأسباب الظاهرة، كمن يتوكل على امير أو سلطان فيما اقدره الله تعالى عليه من رزق أو دفع أذى ونحو ذلك، فهو نوع شرك أصغر، والوكالة الجائزة هي توكيل الإنسان في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه، ولكن ليس له أن يعتمد عليه في حصول ما وكل فيه. بل يتوكل على الله في تيسير أمره الذي يطلبه لنفسه أو نائبه، وذلك من جملة الأسباب التي يجوز فعلها، ولا يعتمد عليها، بل يعتمد على المسبب الذي أوجد السبب والمسبب».

(١) وجلت: خافت من الوجل وهو الخوف.
(٢) أي كافيك الله.
(٣) يريد قوله تعالى: ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾.

باب قول الله تعالى

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّه فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الخَاسِرُونَ﴾[1] وقوله: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾[2].

وعن ابن عباس. «أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر؟ فقال. الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله[3].

وعن ابن مسعود قال. أكبر الكبائر الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله». رواه عبد الرزاق[4].

«فيه مسائل»: الأولى: تفسير آية الأعراف. الثانية: تفسير آية الحجر. الثالثة شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله. الرابعة: شدة الوعيد في القنوط.

---

(١) قال صاحب النهاية: «مكر الله ايقاع بلائه بأعدائه دون أوليائه. وقيل: هو استدراج العبد بالطاعات فيتوهم أنها مقبولة، وهي مردودة» يعني أن الله تبارك وتعالى يسبغ على العبد نعمه على عصيانه وكفره، ثم يأخذه بغتة وهو لا يشعر. أراد المؤلف رحمه الله تعالى بهذه الآية التنبيه على أن الأمن من مكر الله من اعظم الذنوب، وأنه ينافي كمال التوحيد، كما أن القنوط من رحمة الله كذلك. وهذا يرشد إلى أن المؤمن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء، كما يدل على ذلك الكتاب والسنة.

(٢) القنوط: استبعاد الفرج واليأس منه. وهو يقابل الأمن من مكر الله، وكلاهما ذنب عظيم. قال الشارح: «ذكر المصنف رحمه الله تعالى هذه الآية مع التي قبلها تنبيهاً على أنه لا يجوز لمن خاف الله تعالى أن يقنط من رحمته، بل يكون خائفاً راجياً، يخاف ذنوبه ويعمل بطاعته، ويرجو رحمته».

(٣) الروح، بفتح الراء: الرحمة: وهذا الحديث رواه البزار وابن أبي حاتم من طريق شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس، ورجاله ثقات إلا شبيب، والأشبه أن يكون موقوفاً. قال ابن القيم: «الشرك بالله هضم للربوبية، وتنقص للإلهية، وسوء ظن برب العالمين».

(٤) قال الشارح: «رواه ابن جرير بأسانيد صحاح».

باب من الايمان بالله الصبر على أقدار الله[1]

(١) الصبر: الحبس والكف، ومنه قتل فلان صبراً أي إذا امسك وحبس ومنه قوله تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ أي احبس نفسك معهم، فالصبر حبس النفس من الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش. وهو ثلاثة أنواع: «صبر على طاعة الله، وصبر على معصية الله، وصبر على امتحان الله، فالأولان صبر على ما يتعلق بالكسب، والثالث صبر على ما لا كسب للعبد فيه. وقال صاحب منازل السائرين: والصبر حبس النفس على المكروه، وعقل اللسان عن الشكوى، وهو من اصعب المنازل على العامة وأوحشها في طريق المحبة وأنكرها في طريق التوحيد». وهو واجب بإجماع الأمة، قال الإمام احمد بن حنبل: ذكر الله تعالى الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعاً، وهو من الإيمان بمنزلة الرأس في الجسد، ولا ايمان لمن لا صبر له، كما أن لا جسد لمن لا رأس له، قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: خير عيش ادركناه بالصبر. وفي الحديث الصحيح «الصبر ضياء» رواه الإمام أحمد ومسلم. وللبخاري ومسلم مرفوعاً: «ما أعطي أحد عطاء خيراً من الصبر وأوسع من الصبر». وفي الحديث الصحيح: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن اصابته سراء شكر فكان خيراً له. وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» وأمر رسول الله ﷺ الأنصار بأن يصبروا على الأثرة التي يلقونها بعده حتى يلقوه على الحوض. وأمر عند ملاقاة العدو بالصبر، وأمر بالصبر عند المصيبة، وأخبر أنه إنما يكون عند الصدمة الأولى. وأمر المصاب بأنفع الأمور له وهو الصبر والاحتساب، فإن ذلك يخفف مصيبته ويوفر أجره، والجزع والتسخط والتشكي يزيد في المصيبة ويذهب الأجر. والشكوى إلى الله عز وجل لا تنافي الصبر، فإن يعقوب عليه السلام وعد بالصبر الجميل، والنبي إذا وعد لا يخلف ثم قال: ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾. وكذلك أيوب أخبر الله عنه أنه وجده صابراً مع قوله ﴿مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾. وإنما ينافي الصبر شكوى الله لا الشكوى إليه، كما رأى بعضهم رجلاً يشكو إلى آخر فاقة «وضرورة» فقال: يا هذا تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك، ثم أنشد:

وإذا عرتك بلية فاصبر لها ... صبر الكريم فإنه بك أعلم
وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما ... تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

أفاد ذلك ابن القيم في مدارج السالكين بتصرف.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤمِنْ بِاللّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[١].

قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم[٢].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «اثنتان في الناس هما بهم كفر. الطعن في النسب، والنياحة على الميت». ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً: «ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية»[٣]. وعن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: إذا أراد الله

---

(١) نظم الآية هكذا: ﴿ما اصاب من مصيبة إلا بإذن الله، ومن يؤمن بالله يهد قلبه، والله بكل شيء عليم﴾ قال الحافظ بن كثير في تفسيره: «يقول تعالى مخبراً بما أخبر به في سورة الحديد ﴿ما اصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾ وهكذا قال ههنا ﴿ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله﴾، قال ابن عباس: بأمر الله، يعني عن قدره ومشيئته ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ أي ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه، وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه ويقيناً صادقاً، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيراً منه».

(٢) هذا الأثر رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، وعلقمة هذا هو ابن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي ولد في حياة النبي ﷺ.

(٣) ضرب الخدود: لطمها جزعاً على الميت، وخص الخد بذلك لكونه الغالب في ذلك، وإلا فضرب بقية الوجه داخل في ذلك. والجيوب: جمع جيب، وهو ما يدخل فيه الرأس من الثوب، وشقها: تمزيق الثوب جزعاً على الميت. «ودعوى الجاهلية» قال شيخ الإسلام عليه سحائب الرضوان: هو ندب الميت. وقال غيره: هو الدعاء بالويل والثبور. وقال ابن القيم: الدعاء بدعوى الجاهلية كالدعاء إلى القبائل والعصبية، ومثله التعصب إلى المذاهب والطوائف والمشايخ وتفضيل بعض على بعض، يدعو إلى ذلك ويوالي عليه ويعادي، فكل هذا من دعوى الجاهلية. قال الحافظ بن حجر في الفتح: «قوله: ليس منا، أي من أهل سنتنا وطريقتنا، وليس المراد به إخراجه عن الدين، ولكن فائدة إيراده بهذا اللفظ المبالغة في الردع عن الوقوع في مثل ذلك، كما يقول الرجل لولده عند معاتبته: لست منك =

بعبده الخير عجل له بالعقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه، حتى يوافي به يوم القيامة»[1].

وقال النبي ﷺ: إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط». حسنه الترمذي.

ولست مني، أي ما أنت على طريقتي. وقال الزين بن المنير ما ملخصه: التأويل الأول يستلزم أن يكون الخبر إنما ورد على أمر وجودي، وهذا يصان كلام الشارع عن الحمل عليه والأولى أن يقال: المراد أن الواقع في ذلك يكون قد تعرض لأن يهجر ويعرض عنه فلا يختلط بجماعة السنة تأديباً له على استصحابه حالة الجاهلية التي قبحها الإسلام، فهذا أولى من الحمل على ما لا يستفاد منه قدر زائد على الفعل الموجود. وحكي عن سفيان أنه كان يكره الخوض في تأويله ويقول: ينبغي أن يمسك عن ذلك ليكون أوقع في النفوس وأبلغ في الزجر وقيل: المعنى ليس على ديننا الكامل، أي أنه خرج من فرع من فروع الدين وإن كان معه اصله، حكاه ابن العربي. ويظهر لي أن هذا النفي يفسره التبري الآتي في حديث أبي موسى بعد باب حيث قال: برىء منه النبي ﷺ وأصل البراءة الانفصال من الشيء، وكأنه توعده بأن لا يدخله في شفاعته مثلاً. وقال المهلب قوله: أنا بريء، أي من فاعل ما ذكر وقت ذلك الفعل، ولم يرد نفيه عن الإسلام. قلت: بينهما واسطة تعرف مما تقدم أول الكلام. وهذا يدل على تحريم ما ذكر من شق الجيب وغيره، وكأن السبب في ذلك ما تضمنه ذلك من عدم الرضا بالقضاء. فإن وقع التصريح بالاستحلال مع العلم بالتحريم أو التسخط مثلاً بما وقع فلا مانع من حمل النفي على الإخراج من الدين».

(١) الحديث رواه الترمذي وحسنه والحاكم. وقوله «يوافي» هو بضم الياء المثناة من تحت آخر الحروف وكسر الفاء، أن يجيء بها، ولما روى الترمذي هذا الحديث وما بعده بإسناد واحد وصحابي واحد جعلهما المصنف كالحديث الواحد. ومعنى عجل له بالعقوبة في الدنيا أي صب عليه المصائب والبلاء لما فرط من الذنوب منه، فيخرج منها وليس عليه ذنب يوافي به يوم القيامة. فالمصائب نعمة، لأنها تكفر الذنوب وتدعو إلى الصبر، فيثاب عليها، وتقتضي الإنابة إلى الله والذل له، والإعراض عن الخلق، إلى غير ذلك من المصالح العظيمة.

«فيه مسائل»: الأولى: تفسير اية التغابن. الثانية: أن هذا من الإيمان بالله. الثالثة: الطعن في النسب. الرابعة: شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية. الخامسة: علامة ارادة الله بعبده الخير. السادسة: ارادة الله به الشر. السابعة: علامة حب الله للعبد. الثامنة: تحريم السخط. التاسعة: ثواب الرضى بالبلاء.

باب ما جاء في الرياء[1]

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ﴾[2].

وعن أبي هريرة مرفوعاً، قال الله تعالى: «أنا غنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه». رواه

---

(١) الرياء، بكسر أوّله وبالمد: ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله تعالى فيه. وحده: فعل الخير لإرادة الغير. والفرق بينه وبين السمعة: أن الرياء يكون في الفعل، كالصلاة، والسمعة تكون في القول، كالقراءة والوعظ والذكر، وهو مشتق من الرؤية.

(٢) ونظم الآية كذلك: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ ومعنى الآية والله أعلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين برسالتك إليهم: انما أنا بشر مثلكم، فمن زعم أني كاذب فليأت بمثل ما جئت به فإني لا أعلم الغيب فيما أخبرتكم به من الماضي عما سألتم من قصة أصحاب الكهف وخبر ذي القرنين مما هو مطابق في نفس الأمر، لولا ما أطلعني الله عليه، وانما أخبركم انما إلهكم الذي أدعوكم إلى عبادته اله واحد لا شريك له فمن كان يرجو لقاء ربه، أي ثوابه وجزاءه الصالح، فليعمل عملاً صالحاً، وهو ما كان موافقاً لشرع الله تعالى، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً، وهو الذي يراد به وجه الله جل وعز وحد

مسلم[1]. وعن أبي سعيد مرفوعاً: ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى، قال: الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته، لما يرى من نظر رجل إليه» رواه أحمد[2].

«فيه مسائل»: الأولى: تفسير آية الكهف. الثانية: الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله. الثالثة: ذكر السبب الموجب لذلك، وهو كمال الغنى. الرابعة: أن من الأسباب أنه خير الشركاء. الخامسة: خوف النبي ﷺ على أصحابه من الرياء. السادسة: أنه فسر ذلك، أن المرء يصلي لله، لكن يزينها لما يرى من نظر الرجل.

= لا شريك له. وهذان ركنا العمل المقبل، لا بدّ أن يكون خالصاً صواباً على شريعة رسول الله ﷺ. روى ابن أبي حاتم بسنده عن طاووس قال: قال رجل: يا رسول الله اني أقف الموقف أريد وجه الله وأحب أن يرى موطني، فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئاً حتى نزلت هذه الآية: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾.

(١) هذا حديث قدسي، قال النووي في شرح مسلم: هكذا وقع في بعض الأصول «وشركه» وفي بعضها «وشريكه» وفي بعضها «وشركته». ومعناه أنا أغنى عن المشاركة وغيرها، فمن عمل شيئاً لي ولغيري لم أقبله، بل أتركه لذلك الغير. والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه ويأثم به اهـ. ولابن ماجه: «فأنا منه بريء وهو للذي أشرك». قال العلامة الطيبي: الضمير المنصوب في قوله: «تركته» يجوز أن يرجع إلى العمل.

(٢) قوله: «أخوف» اسم تفضيل من خيف مبيناً للمفعول على خلاف القياس. والمعنى اني أخاف عليكم من الرياء اكثر مما اخاف عليكم من فتنة المسيح الدجال. وسمي هذا العمل شركاً خفياً لأن صاحبه يظهر أن عمله لله وقد قصد به غيره أو شركه فيه بتزيين صلاته لأجله. قال ابن القيم: «وأما الشرك الأصغر فيسير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله، وقول الرجل للرجل ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، ومالي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا. وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب حال قائله ومقصده». قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى في قوله تعالى: =

باب من الشرك إرادة الانسان بعمله الدنيا(١)

وقوله تعالى :﴿مَنْ كانَ يُرِيدُ الحيَاةَ الدُّنْيا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إليهم أَعْمَالَهُمْ فيها﴾(٢) الآيتين.

وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أُعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع»(٣).

﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾: أخلصه وأصوبه، وقيل يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، فالخالص ما كان لله والصواب ما كان على السنة.

(١) أراد المؤلف رحمه الله تعالى بهذه الترجمة وما بعدها أن العمل لأجل الدنيا شرك ينافي كمال التوحيد الواجب ويحبط الأعمال، وهو أعظم من الرياء، لأن مريد الدنيا قد تغلب ارادته تلك على كثير من عمله، وأما الرياء فقد يعرض له في عمل دون عمل ولا يسترسل معه، والمؤمن يكون حذراً من هذا وهذا. أفاده الشارح.

(٢) تمام الآية الأولى: ﴿وهم فيها لا يبخسون﴾ والآية الثانية بعدها: ﴿اولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾ الآيتان ١٥ و١٦ من سورة هود قال الحافظ بن كثير في تفسيره عن ابن عباس في هذه الآية: إن اهل الرياء يعطون بحسناتهم في الدنيا، وذلك أنهم لا يظلمون نقيراً. يقول: من عمل صالحاً التماس الدنيا صوماً أو صلاة أو تهجداً بالليل، لا يعمله إلا التماس الدنيا، يقول الله تعالى: أوفيه الذي التمس من الدنيا من المثابة، وحبط عمله الذي كان يعمله لالتماس الدنيا، وهو في الآخرة من الخاسرين.

(٣) هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه في موضعين: في كتاب الجهاد وكتاب =

«فيه مسائل»: الأولى: ارادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة. الثانية: تفسير

= الرقاق، وليس ما ذكره المؤلف موافقاً للفظ أحدهما، ولعله نقله بالمعنى. وهاك شرح ألفاظه «تعس» بفتح اوله وكسر ثانية، ويجوز الفتح وهو ضد سعد، تقول تعس فلان أي شقي، وقيل: معنى التعس الكب على الوجه، قال الخليل: التعس أن يعثر فلا يفيق من عثرته، وقيل التعس الشر، ومنه قوله تعالى: ﴿فتعساً لهم﴾ أراد إلزامهم الشر، وقيل البعد، وقيل الهلاك وقيل التعس أن يخر على وجهه والنكس أن يخر على رأسه، وقيل تعس أخطأ حجته وبغيته. وقوله: «عبد الدينار» أي طالبه الحريص على جمعه القائم على حفظه فكأنه لذلك خادمه وعبده. قال الطيبي: قيل خص العبد بالذكر ليؤذن بانغماسه في محبة الدنيا وشهواتها، كالأسير الذي لا يجد خلاصاً، ولم يقل مالك الدينار ولا جامع الدينار لأن المذموم من الملك والجمع الزيادة على قدر الحاجة. وقوله: «إن أعطي» الخ يؤذن بشدة الحرص على ذلك. وقال غيره جعله عبداً لهما لشغفه وحرصه، فمن كان عبداً لهواه لم يصدق في حقه «اياك نعبد» فلا يكون من اتصف بذلك صديقاً، وكذلك يقال في عبد الدرهم. والخميصة، بفتح المعجمة، ثوب خز أو صوف معلم، وهو الكساء المربع. والخميلة بفتح المعجمة، كل ثوب له خمل. وفي بعض روايات صحيح البخاري بدل «الخميلة» القطيفة، وفسرت بذلك. وقوله انتكس، بالمهملة، أي عاوده المرض، وقيل إذا سقط اشتغل بسقطته حتى يسقط أُخرى، وحكى عياض أن بعضهم رواه انتكش بالشين المعجمة، وفسره بالرجوع، وجعله دعاء له لا عليه، والأول أولى. وقوله «شيك» بكسر المعجمة وسكون التحتية بعدها كاف، أي اصابته شوكة. وانتقش بالقاف والشين المعجمة، أي فلا قدر على اخراجها بالمنقاش، تقول نقشت الشوك إذا استخرجته. قال شيخ الإسلام: فسماه النبي ﷺ عبد الدينار والدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة وذكر فيه ما هو دعاء بلفظ الخبر، وقوله «تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش» وهذه حال من إذا اصابه شر لم يخرج منه لم يفلح لكونه تعس وانتكس، فلا نال المطلوب ولا خلص من المكروه، وهذه حال من عبد المال، وقد وصف ذلك بأنه إن اعطي رضي وإن لم يعط سخط، كما قال تعالى: ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن اعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾ فرضاؤهم لغير الله، وسخطهم لغير الله، وهكذا حال من كان متعلقاً منها برياسة أو بصورة ونحو ذلك من اهواء نفسه، إن حصل له رضي وإن لم يحصل له سخط، فهذا =

آية هود. الثالثة: تسمية الإنسان المسلم عبـد الدينـار والدرهم والخميصـة. الرابعة: تفسير ذلك بأنه أن اعطي رضي وأن لم يعط سخط. الخامسة: قوله: «تعس وانتكس». السادسة: قوله «وإذا شيك فلا انتقش». السابعة: الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات.

= عبد ما يهواه من ذلك، وهو رقيق له، إذ الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته، فما استرق القلب واستعبده فهو عبده اهـ. وقوله «طوبى لعبد» هي على وزن «فعلى» اسم الجنة، وقيل هي شجرة فيها. وفيه إشارة إلى الحض على العمل بما يحصل به خير الدنيا والآخرة. وعنان الفرس، بكسر أوله، سير اللجام. وقوله «في سبيل الله» أي في جهاد المشركين. وقوله «أشعث» صفة لعبد مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة، لأنه غير منصرف للوصف ووزن الفعل. ولفظ «رأسه» مرفوع على الفاعلية. وقوله «في الحراسة» هو بكسر الحاء حماية الجيش عن ان يهجم العدو عليهم، وهذا من المواضع التي اتحد فيها الشرط والجزاء لفظاً لكن المعنى مختلف والتقدير إن كان المهم في الحراسة كان فيها، وقيل معنى فهو في الحراسة أي فهو في ثواب الحراسة. والساقة مؤخرة الجيش، ويعني انه يقلب نفسه في مصالح الجهاد، فكل مقام يقوم فيه، إن كان ليلاً أو نهاراً رغبة في ثواب الله تعالى وطلباً لمرضاته جل وعز قال ابن الجوزي: المعنى أنه حامل الذكر لا يقصد السمو، فإن اتفق له السير سار، فكأنه قال إن كان في الحراسة استمر فيها وإن كان في الساقة استمر فيها. وقوله: «إن استأذن لم يؤذن له» الخ، أي إن استأذن على أمير أو حاكم أو غني لم يؤذن له، لأنه لا جاه له عندهم ولا منزلة له، لأنه ليس من طلابها، وإنما يطلب ما عند الله لا يقصد بعمله سواه. وقوله: «إن شفع» هو بفتح أوله وثانية، «ولم يشفع» بفتح الفاء المشددة، يعني لو ألجأته الحال إلى أن يشفع في أمر يحبه الله ورسوله لم تقبل شفاعته عند أهل الدنيا الفانية. قال الحافظ بن حجر في فتح الباري: فيه تـرك حب الريـاسة والشهرة وفضل الخمول والتواضع.

باب من اطاع العلماء والأمراء في تحريم ما احل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أرباباً[1]

وقال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول قال رسول الله ﷺ وتقولون، قال أبو بكر وعمر[2]! وقال أحمد بن حنبل:

---

(١) إطاعة العلماء والأمراء والسلاصين والملوك واجبة فيما أباحه الشارع وأحله، وممنوعة فيما لم يبحه الشارع وزجر عنه. واستدل المصنف رحمه الله تعالى على أن الناس إذا أطاعوا أمراءهم وعلماءهم في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذوهم أرباباً من دون الله تعالى بآية: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلـهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾.

(٢) قال الشارح: «هذا القول من ابن عباس جواب لمن قال له: إن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لا يريان التمتع بالعمرة إلى الحج ويريان أن إفراد الحج أفضل، وكان ابن عباس يرى أن التمتع بالعمرة إلى الحج واجب، ويقول: إذا طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط فقد حل من عمرته شاء أم أبى، لحديث سراقة بن مالك حين «أمرهم النبي ﷺ أن يجعلوها عمرة ويحلوا إذا طافوا بالبيت وسعوا بين الصفا والمروة، فقال سراقة: يا رسول الله ألعامنا هذا أم للأبد؟ فقال: بل للأبد» والحديث في الصحيحين. وعلى هذا فلا عذر لمن استفتى أن ينظر في مذاهب العلماء وما استدل به كل إمام ويأخذ من أقوالهم ما دل عليه الدليل إذا كان له ملكة يقتدر بها على ذلك، كما قال الله تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ الآية، ولما في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما أن النبي ﷺ قال: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت، ولولا أن معي الهدي لحللت». هذا لفظ البخاري في حديث عائشة رضي الله عنها، ولفظه في حديث جابر: «افعلوا ما أمرتكم به، فلولا أني سقت الهدي لفعلت مثل الذي أمرتكم». في عدة أحاديث تؤيد قول ابن عباس وقوله «يوشك» هو بضم أوله وكسر الشين المعجمة، أي يقرب ويسرع. قال الإمام مالك إمام دار الهجرة: ما منا إلا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر ﷺ. وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد، وكلام الأئمة في هذا المكان واسع جداً.

عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول. ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَو يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك[1].

---

(١) قال في الشرح: رواه عنه الفضل بن زياد وأبو طالب، قال أبو طالب عن أحمد وقيل له: إن قوماً يدعون الحديث ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره، فقال: الخ، وسفيان هو الثوري الإمام الزاهد العابد الثقة الفقيه، صاحب مذهب وأصحاب، وينقل كلامه في كثير من الكتب المطولة، كالمحلى لابن حزم. فقول الإمام احمد رحمه الله تعالى عجبت لقوم الخ انكار منه لذلك، وأنه يؤول إلى زيغ القلوب الذي يكون به المرء كافراً. وقد عمت البلوى بهذا المنكر، خصوصاً ممن ينتسب إلى العلم، نصبوا الحبائل في الصد عن الأخذ بالكتاب والسنة، وصدوا الناس عن متابعة الرسول ﷺ وتعظيم أمره ونهيه، فمن ذلك قولهم: لا يستدل بالكتاب والسنة إلا المجتهد، والاجتهاد قد انقطع! ويقول: هذا الذي قلدته أعلم منك بالحديث وبناسخه ومنسوخه، ونحو ذلك من الأقوال التي غايتها ترك متابعة الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، والاعتماد على قول من يجوز عليه الخطأ، وغيره من الأئمة يخالفه ويمنع قوله بدليل، فما من امام إلا والذي معه بعض العلم لا كله، فالواجب على كل مكلف إذا بلغه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله وفهم معنى ذلك أن ينتهي إليه ويعمل به، وإن خالفه من خالفه، كما قال تعالى: ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم، إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾. وفي كلام الإمام احمد رحمه الله تعالى اشارة إلى أن التقليد قبل بلوغ الحجة لا يذم، وإنما ينكر على من بلغته الحجة وخالفها لقول امام من الأئمة، وذلك نشأ عن الإعراض عن تدبير كتاب الله وسنة رسوله والاقبال على كتب من تأخر والاستغناء بها عن الوحيين. وهذا شبه ما وقع من اهل الكتاب الذين قال الله فيهم: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون اللّه﴾ فيجب على من نصح نفسه إذا قرأ كتب العلماء ونظر فيها وعرف أقوالهم أن يعرضها على ما في الكتاب والسنة، فإن كل مجتهد من العلماء ومن تبعه وانتسب إلى مذهبه لا بدّ أن يذكر دليله، والحق في المسألة واحد، والأئمة يثابون على اجتهادهم فالمصنف يجعل النظر في كلامهم وتأمله طريقاً إلى معرفة المسائل واستحضارها ذهناً، =

وعن عدي بن حاتم. «أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿اتخَذُوا

= وتمييزاً للصواب من الخطأ بالأدلة التي يذكرها المستدلون، ويتعرف بذلك من هو أسعد بالدليل من العلماء فيتبعه. والأدلة على هذا الأصل في كتاب الله اكثر من ان تحصر، وفي السنة كذلك، كما اخرج أبو داود بسنده عن أناس من اصحاب معاذ: «إن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبعث معاذاً إلى اليمن قال: كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله تعالى. قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله ﷺ ولا في كتاب الله؟ قال أجتهد رأيي ولا آلو، قال: فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله». وساق بسنده عن الحارث ابن عمرو عن اناس من اصحاب معاذ بن جبل رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن» بمعناه والأئمة رحمهم الله لم يقصروا في البيان، بل نهوا عن تقليدهم إذا استبانت السنة، لعلمهم أن من العلم شيئاً لم يعلموه، وقد يبلغ غيرهم، وذلك كثير، كما لا يخفى على من نظر في اقوال العلماء. قال أبو حنيفة رحمه الله: إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن الصحابة رضي الله عنهم فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن التابعين فنحن رجال وهم رجال. وقال: إذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه فاتركوا قولي لكتاب الله، قيل إذا كان رسول الله ﷺ يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لخبر الرسول ﷺ وقيل: إذا كان قول الصحابة يخالفه؟ قال: أتركوا قولي لقول الصحابة. وقال الربيع: سمعت الشافعي رحمه الله يقول: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فخذوا سنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت. وقال: إذا صح الحديث بما يخالف قولي فاضربوا بقولي الحائط، وقال مالك: كل واحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ. وتقدم له مثل ذلك. فلا عذر لمقلد بعد هذا. ولو استقصينا كلام العلماء في هذا لخرج بنا عما قصدناه من الاقتصار وفيما ذكرناه كفاية لطالب الهدى قوله: «لعله إذا رد بعض قوله» أي قول الرسول ﷺ: «أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك» نبه رحمه الله أن رد قول الرسول ﷺ سبب لزيغ القلب، وذلك هو الهلاك في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿فلما زاغوا أزاغ اللّه قلوبهم واللّه لا يهدي القوم الفاسقين﴾. قال شيخ الإسلام رحمه الله في معنى قول الله تعالى: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن امره﴾: فإذا كان المخالف لأمره قد حذر من الكفر والشرك أو من العذاب الأليم دل على أنه قد يكون مفضياً إلى الكفر والعذاب الأليم، ومعلوم أن افضاءه إلى العذاب الأليم هو بمجرد فعل =

أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أرباباً مِنْ دُونِ اللّهِ﴾ الآية، فقلت له: إنا لسنا نعبدهم، قال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ فقلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم». رواه أحمد والترمذي وحسنه[1].

«**فيه مسائل**»: الأولى تفسير آية النور. الثانية: تفسير آية براءة. الثالثة: التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عديّ. الرابعة: تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر، وتمثيل احمد بسفيان. الخامسة: تغير الأحوال إلى هذه الغاية حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال، وتُسَمّى الولاية، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه، ثم تغيرت الأحوال إلى أن عبد من دون الله من ليس من الصالحين، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين.

باب قول الله تعالى

﴿أَلَمْ تَرَ إلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إلَيْكَ وَما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إلى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن

المعصية فإفضاؤه إلى الكفر إنما هو لما يقترن به من الاستخفاف في حق الأمر، كما فعل ابليس لعنه الله تعالى، انتهى. وقال أبو جعفر ابن جرير رحمه الله تعالى عن الضحاك: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة) قال: يطبع على قلبه فلا يؤمن أن يظهر الكفر بلسانه فتضرب عنقه. قال أبو جعفر بن جرير. أدخلت «عن» لأن معنى الكلام فليحذر الذين يلوذون عن أمره عنه ويدبرون معرضين، قوله: ﴿أو يصيبهم﴾ في عاجل الدنيا عذاب من الله موجع. على خلافهم أمر رسول الله ﷺ، انتهى باختصار.

(١) هذا الحديث يدل على أن طاعة الرهبان والأحبار في معصية الله عز وجل عبادة لهم من دون الله، ومن الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، لقوله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾. ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه، وإنه لفسق، وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم، وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾.

يَكْفُروا بِهِ ويُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾[1] الآيات.
وقوله: ﴿وَإِذَا قيل لهم: لا تُفْسِدُوا في الأرضِ. قالوا: إنما نحن

(١) ابن كثير في تفسيره: «هذا انكار من الله عز وجل على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين، وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله، كما ذكر في سبب نزول هذه الآية أنها في رجل من الأنصار ورجل من اليهود تخاصما، فجعل اليهودي يقول: بيني وبينك محمد، وذاك يقول: بيني وبينك كعب بن الأشرف. وقيل في جماعة من المنافقين ممن أظهروا الإسلام أرادوا أن يتحاكموا إلى حكام الجاهلية. وقيل غير ذلك. والآية أعم من ذلك كله، فإنها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت ههنا ولهذا قال ﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت﴾ إلى آخرها». وقوله: ﴿ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً﴾ بين تعالى ذكره في هذه الآية أن التحاكم إلى الطاغوت مما يأمر به الشيطان ويزينه لمن أطاعه، وبين أن ذلك مما أضل به الشيطان من أضله، وأكده بالمصدر ووصفه بالبعد، فدل على أن ذلك من أعظم الضلال وأبعده عن الهدى، قال في الشرح: ففي هده الآية أربع أمور: الأول أنه من ارادة الشيطان، والثاني أنه ضلال، والثالث تأكيده بالمصدر، والرابع وصفه بالبعد عن سبيل الحق والهدى، فسبحان الله ما أعظم هذا القرآن وما أبلغه وما أدله على أنه كلام رب العالمين أوحاه إلى رسوله الكريم، وبلغه عبده الصادق الأمين، صلوات الله وسلامه عليهما.

(٢) قال ابن كثير نقلاً عن أبي العالية: «قال: يعني لا تعصوا في الأرض، وكان فسادهم ذلك معصية الله، لأنه من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصية فقد أفسد في الأرض لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة، وهكذا قال الربيع بن أنس وقتادة، وقال ابن جريج عن مجاهد: إذا ركبوا معصية الله فقيل لهم لا تفعلوا كذا وكذا. قالوا: إنما نحن على الهدى مصلحون. فالمنافق لما كان ظاهره الإيمان اشتبه أمره على المؤمنين، فكان الفساد من جهة المنافق حاصلاً، لأنه هو الذي غر المؤمنين بقوله الذي لا حقيقة له، ووالى الكافرين على المؤمنين، ولو أنه استمر على حاله الأول لكان شره أخف، ولو أخلص العمل لله وتطابق قوله وعمله لأفلح وأنجح، ولهذا قال تعالى: ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون﴾ أي نريد أن نداري الفريقين من المؤمنين والكافرين ونصطلح مع هؤلاء وهؤلاء».

مُصْلحُونَ﴾(٢). وقوله: ﴿ولا تُفْسِدُوا في الأرضِ بعد إصْلاحِهَا﴾(١). وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ الجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾(٢) الآية.

---

(١) قال ابن القيم: «قال أكثر المفسرين: لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله بعد اصلاح الله لها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة الله، فإن عبادة غير الله والدعوة إلى غيره والشرك به هو أعظم فساد في الأرض، بل فساد الأرض في الحقيقة انما هو بالشرك به ومخالفة أمره، فالشرك والدعوة إلى غير الله واقامة معبود غيره ومطاع متبع غير رسول الله ﷺ هو أعظم فساد في الأرض، ولا صلاح لها ولا لأهلها إلى أن يكون الله وحده هو المعبود المطاع. والدعوة له لا لغيره، والطاعة والاتباع لرسوله ليس إلا، وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول ﷺ، فإذا أمر بمعصيته وخلاف شريعته فلا سمع له ولا طاعة. ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله، وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة رسوله والدعوة إلى غير الله ورسوله».

(٢) قال ابن كثير: ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان اهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن جنكيزخان الذي وضع لهم الياسق، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام اخذها عن مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فمن فعل ذلك منهم فهو كافر، يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير، قال الله تعالى: ﴿افحكم الجاهلية يبغون﴾ أي يبتغون ويريدون، وعن حكم الله يعدلون ﴿ومن احسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾ أي ومن اعدل من الله في حكمه، لمن عقل عن الله شرعه وآمن به، وايقن، وعلم أن الله تعالى احكم الحاكمين وارحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء، القادر على كل شيء، العادل في كل شيء».

وعن عبد الله بن عمرو: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح[1].

---

(١) هذا الحديث رواه الشيخ أبو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي الشافعي الفقيه الزاهد نزيل دمشق، في كتاب الحجة على تارك المحجة، في عقيدة اهل السنة، ورواه مُحيي السنة البغوي في المصابيح وشرح السنة، واخرجه أبو نعيم ايضاً في كتابه الأربعين التي شرط لها أن تكون من صحاح الأخبار وجياد الآثار مما اجمع الناقلون على عدالة ناقله، ورواه الطبراني ايضاً، وكذا الحافظ أبو بكر بن أبي عاصم الأصفهاني. ومعنى الحديث: لا يكمل ايمان احدكم حتى يكون موافقته للشريعة مثل موافقته لمألوفاته من غير الكلفة. ويجوز أن يحمل على نفي اصل الإيمان، أي حتى يكون تابعاً للشرع اعتقاداً كالمخلصين، لا خوفاً واكراهاً كالمنافقين. ويوافق هذا الحديث قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه ووالده وولده واهله والناس اجمعين» رواه الشيخان ولما صدقت محبة الصحابة له ﷺ وكان هواهم تبعاً لما جاء به قاتلوا معه آباءهم وابناءهم، وبذلوا في طريقه مهجهم، وانفقوا اموالهم، فطوبى لهم. فمن كان الهوى، وهو الباطل المطاع المحبوب، تابعاً لطرق الهدى من الملة البيضاء والسنة الزهراء، حتى تصير همومه المختلفة وخواطره المتفرقة التي تنبعث من هوى النفس وميل الطبع، هماً واحداً يتعلق بأمر ربه واتباع شرعه، تعظيماً لحقه، وشفقة على خلقه، كما قال:

كانت لقلبي اهواء مفرقة ... فاستجمعت إذ رأتك العين اهوائي
وصار يحسدني من كنت احسدهم ... وصرت مولى الورى إذ صرت مولائي
تركت للخلق دنياهم ودينهم ... شغلا بحبك يا ديني ودنيائي

فلا يميل إلا بأمر الشرع، ولا يهوى إلا حكم الطبع، فهو المؤمن الكامل التوحيد الذي يقبل منه التوحيد. ومن اعرض عنه متبعاً لهواه مبتغياً لرضاه فهو الكافر الخاسر في دنياه وعقباه. ومن اتبع اصول الشريعة دون فروعها فهو الفاسق، ومن عكس فهو المنافق. والهوى: مصدر هواه أي احبه، وشرعاً ميل النفس إلى مشتهيات الطبع دون مقتضيات الشرع. قال الراغب: «مثل النفس في البدن كمجاهد بعث إلى ثغر يراعي أحواله، وعقله خليفة مولاه لديه، ضم إليه ليرشده ويشهد له وعليه: وبدنه بمنزلة مركوب. وهواه سائس خبيث ضم إليه ليتفقد =

= مركوبه. والقرآن بمنزلة كتاب أتاه من مولاه تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة. والنبي رسول أتاه بالكتاب ليبين للناس ما نزل إليهم وأشكل عليهم. فإن جاهد أعداءه وقهرهم. واستعان بالعقل من أمرهم، حمد أثره إذا عاد إلى حضرته وهو من المفلحين. ومن ضيع ثغره وأهمل رعيته وصرف همته إلى مركوبه. وأقام سائس المركوب مقام خليفة ربه. فهو في الآخرة من الخاسرين».

قال الحافظ الإمام ابن رجب رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث: «اما معنى الحديث فهو أن الإنسان لا يكون مؤمناً كامل الإيمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول ﷺ من الأوامر والنواهي وغيرها، فيحب ما أمر به، ويكره ما نهى عنه. وقد ورد القرآن بمثل هذا المعنى في غير موضع. وذم سبحانه من كره ما أحبه الله أو أحب ما كرهه الله. كما قال تعالى: ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم﴾. فالواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله محبة توجب له الإتيان بما أوجب عليه منه، فإن زادت المحبة حتى أتى بما ندب إليه منه كان ذلك فضلاً. وأن يكره ما يكرهه الله كراهة توجب له الكف عما حرم عليه منه. فإن زادت الكراهة حتى أوجبت الكف عما كرهه تنزيهاً كان ذلك فضلاً، فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه أوجب ذلك له أن يحب بقلبه ما يحب الله ورسوله، ويكره ما يكرهه الله روسوله، ويرضى ما يرضى به الله ورسوله، ويسخط ما يسخط الله ورسوله، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض، فإن عمل بجوارحه شيئاً يخالف ذلك، بأن ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله، أو ترك بعض ما يحبه الله روسوله، مع وجوبه والقدرة عليه، دل ذلك على نقص محبته الواجبة. فعليه أن يتوب من ذلك، ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة التي هي ركن العبادة إذا كملت، فجميع المعاصي إنما تنشأ من تقديم هوى النفس على محبة الله ورسوله. وقد وصف الله المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه فقال تعالى: ﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم، ومن اضل ممن اتبع هواه، بغير هدى من الله﴾. وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع، ولهذا يسمى أهلها أهل الأهواء وكذلك المعاصي إنما تنشأ من تقديم الهوى على محبة الله ومحبة ما يحبه، وكذلك حب الأشخاص، الواجب فيه أن يكون تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ، فيجب على المؤمن محبة الله ومحبة من يحبه الله من الملائكة والرسل والأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين عموماً، ولهذا كان من علامات وجود

وقال الشعبي[1]: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد، عرف أنه لا يأخذ الرشوة[2] وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود، لعلمه أنهم يأخذون الرشوة، فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جهينة فيتحاكمان إليه، فنزلت (ألم ترَ إلى الذين يزعمون) الآية. وقيل: نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي ﷺ، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ: أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله.

«فيه مسائل»: الأولى: تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت[3]. الثانية: تفسير آية البقرة ﴿وإذا قيل لهم: لا تفسدوا في الأرض﴾

حلاوة الإيمان أن يحب المرء كلَّ من يحبه الله، وتحريم موالاة أعداء الله وما يكرهه الله عموماً، وبهذا يكون الدين كله لله، ومن أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان، ومن كان حبه وبغضه وعطاؤه ومنعه لهوى نفسه كان ذلك نقصاً في إيمانه الواجب، فتجب التوبة من ذلك» انتهى ملخصاً.

(١) الشعبي هو الإمام العلامة الحافظ البارع المجتهد عامر بن شراحيل الكوفي، ذو الفنون. كان رحمه الله تعالى يقول: ما كتبت سوداء في بيضاء ونسيتها، وأدرك خلقاً كثيراً من الصحابة، وعاش بضعاً وثمانين سنة. وفي كلامه هذا ما يدل على أن المنافق يكون أشد كراهة لحكم الله روسوله من اليهود والنصارى، وهو أشد عداوة منهم لأهل الإيمان، كما هو الواقع في هذه الأزمنة وقبلها، من إعانة العدو على المسلمين وحرصهم على إطفاء نور الإسلام والإيمان، ومن تدبر ما في التاريخ وما وقع منهم من الوقائع عرف أن هذا حال المنافقين قديماً وحديثاً، وقد حذر الله نبيه ﷺ من طاعتهم والقرب منهم. وحضه على جهادهم في مواضع من كتابه، قال تعالى: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم﴾ الآية.

(٢) بتثليث الراء، هي ما يعطيه احد الخصمين للقاضي ليحكم له. قال ابن القيم: هذا دليل على أن من دعي إلى تحكيم الكتاب والسنة فأبى أنه من المنافقين.

(٣) يؤخذ من الآية أن من يحكم بغير ما أنزل الله فإنما يحكم بالطاغوت، وهذا يشمل كل من عرف حكم الله أو أمكنه أن يعرفه وحكم بخلافه، كما هو واقع في هذا الزمان نرجو الله السلامة.

الآية. الثالثة: تفسير آية الأعراف ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾. الرابعة: تفسير ﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾. الخامسة: ما قال الشعبي في سبب نزول الآية الأولى. السادسة: تفسير الإيمان الصادق والكاذب. السابعة: قصة عمر مع المنافق. الثامنة: كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ.

باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات(١)

وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمنِ﴾ الآية.

---

(١) استدل المصنف رحمه الله تعالى على كفر من أنكر شيئاً من اسماء الله أو صفاته بالآية القرآنية، وقد ذهب إلى إثبات صفات الله تعالى وأسمائه كما وصف الله بها نفسه أهل السنة والجماعة، ومال أهل البدع والأهواء، كجهم بن صفوان ومن تبعه، إلى أن اسماء الله جل وعز لا تدل على صفة قائمة بالله تعالي وتبعهم على ذلك طوائف من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم، فلهذا كفرهم كثير من اهل السنة، قال ابن القيم في نونيته:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي الإمام حكاه عنهم ... بل حكاه قبله الطبراني

قال في الشرح: «فإن الكلام في الصفات فرع من الكلام في الذات يحتذي حذوه فكما أن هؤلاء المعطلة يثبتون لله ذاتاً لا تشبه الذوات، فأهل السنة يقولون ذلك ويثبتون ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من صفات كماله ونعوت جلاله، لا تشبه صفاته صفات خلقه، فإنهم آمنوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولم يتناقضوا، وأولئك المعطلة كفروا بما في الكتاب والسنة من ذلك، وتناقضوا، فبطل قول المعطلين بالعقل والنقل، ولله الحمد والمنة على اجماع اهل السنة من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين. وقد صنف العلماء رحمهم الله تعالي في الرد على الجهمية والمعطلة والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم في ابطال هذه البدع وما فيها من التناقض والتهافت كالإمام احمد رحمه الله تعالى في رده المشهور، وكتاب السنة لابنه عبد الله، وصاحب الحيدة عبد العزيز الكناني في رده على بشر المريسي، وكتاب السنة لأبي عبد الله المروزي، ورد عثمان بن سعيد على الكافر =

وفي صحيح البخاري، قال علي حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله، وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس، أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات، استنكاراً لذلك، فقال ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه ، انتهى.

ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾.

«فيه مسائل»: الأولى: عدم الإيمان بشيء من الأسماء والصفات. الثانية: تفسير آية الرعد. الثالثة: ترك التحديث بما لا يفهم السامع. الرابعة: ذكر العلة أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله ولو لم يتعمد المنكر. الخامسة: كلام ابن عباس لمن استنكر شيئاً من ذلك وأنه اهلكه.

باب قول الله تعالى

﴿يعرفون نعمة اللّه ثم ينكرونها﴾ الآية.

قال مجاهد ما معناه، هو قول الرجل هذا مالي ورثته عن آبائي، وقال عون بن عبد الله، يقولون لولا فلان لم يكن كذا، وقال ابن قتيبة، يقولون هذا بشفاعة آلهتنا، وقال أبو العباس بعد حديث زيد بن خالد، الذي فيه أن الله تعالى قال، أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، الحديث وقد تقدم، وهذا كثير في الكتاب والسنة ، يذم سبحانه من يضيف إنعامه

= العنيد وهو بشر المريسي، وكتاب التوحيد لإمام الأئمة محمد بن خزيمة الشافعي، وكتاب السنة لأبي بكر الخلال، وأبي عثمان الصابوني الشافعي، وشيخ الإسلام الأنصاري، وأبي عمر بن عبد البر النمري، وخلق كثيرين من اصحاب الأئمة الأربعة واتباعهم وأهل الحديث، ومن متأخريهم أبو محمد عبد الله بن احمد بن قدامة، وشيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه وغيرهم رحمهم الله تعالى. فلله الحمد والمنة على بقاء السنة وأهلها مع تفرق الأهواء وتشعب الآراء والله أعلم».

إلى غيره، ويشرك به، قال بعض السلف، هو كقولهم، كانت الريح طيبة والملاح حاذقاً، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة الكثير من الناس.

«فيه مسائل»: الأولى: تفسير معرفة النعمة وانكارها. الثانية: معرفة أن هذا جار على ألسنة كثير. الثالثة: تسمية هذا الكلام انكاراً للنعمة. الرابعة: اجتماع الضدين في القلب.

باب قول الله تعالى

﴿فلا تجعلوا للّه أنداداً وأنتم تعلمون﴾

قال ابن عباس في الآية، الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول واللّه وحياتك يا فلانة وحياتي، وتقول لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه، ما شاء الله وشئت، وقول الرجل لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلاناً هذا كله به شرك، رواه ابن أبي حاتم.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك، رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم، وقال ابن مسعود، لأن أحلف بالله كاذباً، أحب إليّ أن أحلف بغيره صادقاً، وعن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان، رواه أبو داود بسند صحيح، وجاء عن ابراهيم النخعي، أنه يكره أعوذ بالله وبك ويجوز أن يقول بالله ثم بك، قال: ويقول لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا لولا الله وفلان.

فيه مسائل»: الأولى: تفسير آية البقرة في الأنداد. الثانية: أن الصحابة يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر بأنها تعم الأصغر. الثالثة: أن الحلف بغير الله شرك. الرابعة: أنه إذا حلف بغير الله صادقاً فهو اكبر من اليمين الغموس. الخامسة: الفرق بين الواو وثم في اللفظ.

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حلف بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله، رواه ابن ماجه بسند حسن.

«فيه مسائل»: الأولى: النهي عن الحلف بالاباء. الثانية: الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى. الثالثة: وعيد من لم يرض.

باب قول ما شاء الله وشئت

عن قتيلة، أن يهودياً أتى النبي ﷺ، فقال: إنكم تشركون، تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ، إذا أرادوا أن يحلفوا، أن يقولوا، ورب الكعبة، وأن يقولوا ما شاء الله ثم شئت، رواه النسائي وصححه.

وله أيضاً عن ابن عباس، أن رجلاً قال للنبي ﷺ، ما شاء الله وشئت، فقال أجعلتني لله نداً، قل ما شاء الله وحده.

ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها، قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود، قلت إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون عزير ابن الله قالوا: وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد، ثم مررت بنفر من النصارى، فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله، قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا إنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد، فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته، قال: هل أخبرت بها أحد، قلت نعم، قال: فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم وأنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا ما شاء الله وحده.

«فيه مسائل»: الأولى: معرفة اليهود بالشرك الأصغر. الثانية: فهم الإنسان إذا

كان له هواء. الثالثة: قوله ﷺ أجعلتني لله نداً، فكيف بمن قال يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك والبيتين بعده. الرابعة: أن هذا ليس من الشرك الأكبر لقوله يمنعني كذا وكذا. الخامسة: أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي. السادسة: أنها قد تكون سبباً لشروع بعض الأحكام.

باب من سب الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى: ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾ الآية.

في لصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار. وفي رواية لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر.

«فيه مسائل»: الأولى: النهي عن سب الدهر. الثانية: تسميته أذى لله. الثالثة: التأمل في قوله فإن الله هو الدهر. الرابعة: أنه قد يكون ساباً ولو لم يقصده بقلبه.

باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله، قال سفيان مثل شاهان شاه، وفي رواية أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه، قوله اخنع يعني أوضع.

«فيه مسائل»: الأولى: النهي عن التسمي بملك الأملاك. الثانية: أن ما في معناه مثله كما قال سفيان. الثالثة: التفطن للتغليظ في هذا ونحوه مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه. الرابعة: التفطن أن هذا لإجلال الله سبحانه وتعالى.

باب أحترام اسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن ابي شريح أنه كان يكنى ابا الحكم، فقال له النبي ﷺ، إن الله هو الحكم، وإليه الحكم، فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء اتوني فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين، فقال ما احسن هذا فما لك من الولد، قال شريح ومسلم وعبد الله، قال: فمن اكبرهم، قلت: شريح، قال: فأنت أبو شريح، رواه أبو داود وغيره.

«**فيه مسائل**»: الأولى: احترام اسماء الله وصفاته، ولو لم يقصد معناه. الثانية: تغيير الاسم لأجل ذلك واختيار اكبر الأبناء للكنية.

باب من هزل بشيء فيه ذكر الله والقرآن والرسول

وقول الله تعالى: ﴿ولئن سألتهم ليقولون إنما كنا نخوض ونلعب﴾ الآية.

عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن اسلم وقتادة، دخل حديث بعضهم في بعض، أنه قال رجل في غزوة تبوك، ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء ارغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا اجبن عند اللقاء، يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء، فقال له عوف بن مالك كذبت، ولكنك مافق، لأخبرن رسول الله ﷺ، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ، وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب، نقطع به عنا الطريق، قال ابن عمر، كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، وأن الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول: (**إنما كنا نخوض ونلعب**)، فيقول له رسول الله ﷺ: «أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون»، ما يلتفت إليه وما يزيده عليه.

«**فيه مسائل**»: الأولى: وهي العظيمة، أن من هزل بهذا أنه كافر. الثانية:

أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائن من كان. الثالثة: الفرق بين النميمة وبين النصيحة لله ولرسوله. الرابعة: الفرق بين العفو الذي يحبه الله وبين الغلظة على أعداء الله. الخامسة: أن من الاعتذار ما لا ينبغي أن يقبل.

باب قول الله تعالى

﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هٰذا لي﴾ الآية.

قال مجاهد هذا بعملي وأنا محقوق به، وقال ابن عباس يريد من عندي وقوله: ﴿قال إنما أوتيته على علم عندي﴾، قال قتادة، على علم مني بوجوه المكاسب، وقال آخرون، على علم من الله أني له أهل، وهذا معنى قول مجاهد، أوتيته على شرف.

وعن أبي هريرة، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول، إن ثلاثة من بني إسرائيل، أبرص وأقرع وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً، فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك، قال: لون حسن وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به، قال: فمسحه، فذهب عنه قذره، فأعطي لوناً حسناً، وجلداً حسناً، قال: فأي المال أحب إليك، قال: الإبل أو البقر، شك اسحاق، فأعطي ناقة عشراء، وقال: بارك الله لك فيها.

قال: فأتى الأقرع، فقال أي شيء أحب إليك، قال شعر حسن، ويذهب عني الذي قذرني الناس به، فمسحه، فذهب عنه وأعطي شعراً حسناً، فقال: أي المال أحب إليك، قال البقر أو الإبل، فأعطي بقرة حاملاً، قال بارك الله لك فيها.

فأتى الأعمى، فقال: أي شيء احب إليك، قال: أن يرد الله اليّ بصري فأبصر به الناس، فمسحه، فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك، قال الغنم، فأعطي شاة والداً، فأنتج هذان وولد هذا، فكان

لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم. قال: ثم أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن، والمال، بعيراً أتبلغ به في سفري، فقال: الحقوق كثيرة، فقال له كأني اعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيراً فأعطاك الله عز وجل المال، فقال إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت.

قال: وأتى الأقرع في صورته، فقال له مثلما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت.

قال: وأتى الأعمى في صورته، فقال رجل مسكين وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاةً أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فرد الله إليّ بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال امسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك، اخرجاه.

«**فيه مسائل**»: الأولى: تفسير الآية. الثانية: ما معنى ليقولن هذا لي. الثالثة: ما معنى قوله إنما أوتيته على علم عندي. الرابعة: ما في هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة.

باب قول الله تعالى

﴿فَلَمَّا آتَاهُما صَالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيما آتَاهُمَا﴾ الآية[1].

---

(١) روى احمد والترمذي وحسنه واستغربه. والحاكم وصححه، عن سمرة مرفوعاً: «لما ولدت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال سميه. عبد الحارث: فإنه يعيش، فسمته عبد الحارث فعاش، فكان ذلك من وحي الشيطان =

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله، كعبد عمر، وعبد الكعبة[1]، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب[2].

وعن ابن عباس في الآية، قال: لما تغشاها آدم حملت. فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعانني أو لأجعلن له قرني إيل[3] فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن، يخوفهما، سمياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتاً، ثم حملت فأتاهما فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتاً، ثم حملت فأتاهما فذكر لهما فأدركهما حب الولد، فسمياه عبد الحارث، فذلك قوله ﴿جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾». رواه ابن أبي حاتم. وله بسند صحيح عن قتادة قال: شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته. وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: (لئن آتيتنا صالحاً) قال: أشفقا أن لا يكون إنساناً[4]. وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

«فيه مسائل»: الأولى: تحريم كل اسم معبد لغير الله. الثانية: تفسير الآية. الثالثة: أن هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها. الرابعة: أن

= وأمره» وروي عن ابن عباس موقوفاً. قال ابن كثير: وكأن أصله والله أعلم مأخوذ من أهل الكتاب.

(١) كتسمية عبد الحسين وعبد علي وعبد العباس عند الشيعة، وعبد النبي عند غيرهم، وكل ذلك حرام. وابن حزم هذا هو الإمام العلامة الوزير بن الوزير صاحب التآليف العظيمة، عالم الأندلس، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري، ومن مؤلفاته العظيمة المشهورة كتاب (الاحكام في أصول الأحكام) في ٨ أجزاء، وكتاب (المحلى) في ١١ جزءاً، وهما مطبوعان بمصر.

(٢) لأنه من عبودية الرق، لأن أهل مكة لما رأوا شيبة مع عمه المطلب حين قدم به من المدينة وكان نشأ بها، ورأوا لونه متغيراً بسبب الشمس، ظنوه عبداً للمطلب، فسموه بذلك.

(٣) «الإيل» بكسر الهمزة وتشديد الياء المفتوحة، ويجوز أيضاً ضم الهمزة وفتحها، وهو الذكر من الأوعال.

(٤) أي خافا أن لا يكون الولد إنساناً.

هبة الله للرجل البنت السوية من النعم. الخامسة: ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة.

باب قول الله تعالى

﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بها، وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾(١) الآية.

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس ﴿يلحدون في أسمائه﴾: يشركون. وعنه سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز. وعن الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها.

«**فيه مسائل**»: الأولى: إثبات الأسماء. الثانية: كونها حسنى. الثالثة: الأمر بدعائه بها. الرابعة: ترك من عارض من الجاهلين الملحدين. الخامسة: تفسير الإلحاد فيها. السادسة: وعيد من ألحد.

باب لا يقال: السلام على الله(٢)

في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كنا إذا كنا مع

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «حقيقة الإلحاد في أسماء الله تعالى الميل بالإشراك والتعطيل والنكران. وأسماء الرب تعالى كلها أسماء وأوصاف تعرف بها تعالى إلى عبادة، ودلت على كماله جل وعلا: فالإلحاد إما بجحدها وإنكارها، وإما بجحد معانيها وتعطيلها، وإما بتحريفها عن الصواب وإخراجها عن الحق بالتأويلات، وإما أن يجعلها أسماء لهذه المخلوقات، كإلحاد أهل الاتحاد، فإنهم جعلوها أسماء هذا الكون محمودها ومذمومها، حتى قال زعيمهم: هو المسمى بمعنى كل اسم ممدوح عقلاً وشرعاً وعرفاً، وبكل اسم مذموم عقلاً وشرعاً وعرفاً، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً».

(٢) السلام اسم من أسماء الله، ويكون بمعنى السلامة أيضاً، وعلى كل منهما لا يصح قول «السلام على الله».

النبي ﷺ في الصلاة، قلنا: السلام علي الله من عباده، السلام على فلان وفلان، فقال النبي ﷺ: لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام»[1].

«فيه مسائل»: الأولى: تفسير السلام. الثانية: أنه تحية. الثالثة: أنها لا تصلح لله. الرابعة: العلة في ذلك. الخامسة: تعليمهم التحية التي تصلح لله.

باب قول اللهم اغفر لي إن شئت[2]

في الصحيح عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة، فإن الله لا مكره له»[3]. ولمسلم: وليعظم الرغبة[4] فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه»[5].

«فيه مسائل»: الأولى: النهي عن الاستثناء في الدعاء. الثانية: بيان العلة في ذلك. الثالثة: قوله ليعزم المسألة. الرابعة: إعظام الرغبة. الخامسة: التعليل لهذا الأمر.

باب لا يقول عبدي وأمتي

في الصحيح عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقل

(١) رواه الشيخان وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود.

(٢) يريد أن هذا القول غير جائز، كما يدل على ذلك الحديث الآتي.

(٣) أي بخلاف المخلوق، فإنه قد يعطي الشيء وهو كاره، ولذلك يقال له: إن شئت.

(٤) من التعظيم، أي ليسأل شيئاً عظيماً.

(٥) أي لا يعظم عليه لكمال غناه.

أحدكم أطعم ربك، وضيء ربك، وليقل: سيدي ومولاي. ولا يقل أحدكم: عبدتي وأمتي، وليقل فتاي وفتاتي وغلامي»[1].

«**فيه مسائل**»: الأولى: النهي عن قول عبدي وأمتي. الثانية: لا يقول العبد ربي، ولا يقال له: أطعم ربك. الثالثة: تعليم الأولى قول فتاي وفتاتي وغلامي. الرابعة: تعليم الثاني قول: سيدي ومولاي. الخامسة: التنبيه للمراد، وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ.

باب لا يرد من سأل بالله[2]

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل

---

(١) قال في الشرح: «هذه الألفاظ المنهى عنها وإن كانت تطلق لغة فالنبي ﷺ نهى عنها تحقيقاً للتوحيد وسداً لذرائع الشرك، لما فيها من التشريك في اللفظ، لأن الله تعالى هو رب العباد جميعهم، فإذا أطلق على غيره شاركه في الاسم، فنهى عنه لذلك وإن لم يقصد بذلك التشريك في الربوبية التي هي وصف الله تعالى. وإنما المعنى أن هذا مالك له، فيطلق عليه هذا اللفظ بهذا الاعتبار، فالنهي عنه حسماً لمادة التشريك بين الخالق والمخلوق، وتحقيقاً للتوحيد، وبعداً عن الشرك في اللفظ. وهذا من احسن مقاصد الشريعة، لما فيه من تعظيم الرب تعالى وبعده عن مشابهة المخلوقين، فأرشدهم ﷺ إلى ما يقوم مقام هذه الألفاظ وهو قوله: سيدي ومولاي. وكذا قوله: ولا يقل احدكم عبدي وأمتي، لأن العبيد عبيد الله، والإماء إماء الله، قال الله تعالى: ﴿إن كل من في السموات والأرض الا آتي الرحمن عبداً﴾، ففي اطلاق هاتين الكلمتين على غير الله تشريك في اللفظ، فنهاهم عن ذلك تعظيماً لله تعالى وأدباً وبعداً عن الشرك وتحقيقاً للتوحيد، وارشد إلى أن يقول فتاي وفتاتي وغلامي، وهذا من باب حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد. فقد بلغ ﷺ أُمته كل ما فيه لهم نفع، ونهاهم عن كل ما فيه نقص في الدين، فلا خير إلا دلهم عليه خصوصاً في تحقيق التوحيد، ولا شر إلا حذرهم منه، صلوات الله وسلامه عليه، خصوصاً ما يقرب من الشرك لفظاً وإن لم يقصد. وبالله التوفيق».

(٢) قال في الشرح: «ظاهر الحديث النهي عن رد السائل إذا سأل بالله، لكن هذا =

بالله فأعطوه، ومن استعاذ بالله فأعيذوه[1]، ومن دعاكم فأجيبوه[2]، ومن

= العموم يحتاج إلى تفصيل حسب ما ورد في الكتاب والسنة. فيجب إذا سأله السائل ما له فيه حق، كبيت المال، فيعطى منه على قدر حاجته وما يستحقه وجوباً، وكذلك إذا سأل المحتاج من في ماله فضل فيجب أن يعطيه على حسب حاله ومسألته، خصوصاً إذا سأل من عنده فيستحب أن يعطيه على قدر حال المسؤول ما لا يضر به ولا يضر عائلته. وإن كان مضطراً وجب أن يعطيه ما يدفع ضرورته. ومقام الانفاق من اشرف مقامات الدين، وتفاوت الناس فيه بحسب ما جبلوا عليه من الكرم والجود، وضدهما من البخل والشح فالأول محمود في الكتاب والسنة، والثاني مذموم فيهما، وقد حث الله تعالى عبادة على الانفاق لعظم نفعه وتعديه وكثرة ثوابه. قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم﴾ إلى قوله: ﴿والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم﴾ وقال تعالى: ﴿وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ وذلك الانفاق من خصال البر المذكورة في قوله: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين﴾ الآية. فذكره بعد ذكر أصول الإيمان وقبل ذكر الصلاة، وذلك ـ والله اعلم ـ لتعدي نفعه، وذكره تعالى في الأعمال التي امر بها عباده وتعبدهم بها ووعدهم عليها الأجر العظيم، قال تعالى: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات﴾ إلى قوله: ﴿والمتصدقين والمتصدقات﴾ الآية. وكان النبي ﷺ يحث اصحابه على الصدقة حتى النساء، نصحاً للأمة، وحثاً لهم على ما ينفعهم عاجلاً وآجلاً. وقد اثنى الله سبحانه على الأنصار رضي الله عنهم بالإيثار، فقال تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون﴾. والايثار من افضل خصال المؤمن، كما تفيده هذه الآية الكريمة، وقد قال تعالى: ﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾ إلى قوله: ﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءاً ولا شكوراً﴾. والآيات والأحاديث في فضل الصدقة كثيرة جداً، ومن كان سعيه للآخرة رغب في هذا ورغب، وبالله التوفيق».

(١) أي من استجار بالله فأجيروه.

(٢) هو من الدعوة إلى الطعام، وفي الحديث الصحيح: «لو دعيت إلى كراع لاجبت» وهذا من حق المسلم على المسلم، كما في حديث آخر.

صنع إليكم معروفاً فكافئوه[1]، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»[2]، رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

«فيه مسائل»: الأولى: إعاذة من استعاذ بالله. الثانية: إعطاء من سأل بالله. الثالثة: إجابة الدعوة. الرابعة: المكافأة على الصنيعة. الخامسة: أن الدعاء مكافأة لمن لا يقدر إلا عليه. السادسة: قوله «حتى تروا أنكم قد كافأتموه».

---

(١) يدل له قوله: «من احسن إليكم فأحسنوا إليه».

(٢) قال في الشرح: «قوله: من دعاكم فأجيبوه، هذا من حقوق المسلمين بعضهم على بعض، اجابة دعوة المسلم. وتلك من اسباب الألفة والمحبة بين المسلمين. قوله: ومن صنع اليكم معروفاً فكافئوه، نـدبـهم ﷺ إلى المكافاة على المعروف، فإن المكافأة على المعروف من المروءة التي يحبها الله روسوله، كما دل عليه هذا الحديث. ولا يهمل المكافأة على المعروف إلا اللئام من الناس، وبعض اللئام يكافىء على الإحسان بالإساءة، كما يقع كثيراً من بعضهم، نسأل الله العفو في الدنيا والآخرة بخلاف حال اهل التقوى والإيمان، فإنهم يدفعون السيئة بالحسنة، طاعة لله ومحبة لما يحبه لهم ويرضاه، كما قال تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن اعلم بما يصفون. وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب أن يحضرون﴾. وقال تعالى: ﴿ادفع بالتي هي احسن فإذا الذي بينك وبينه عدواة كأنه ولي حميم. وما يلقاها إلا الذين صبروا﴾ الآية. وهم الذين سبقت لهم من الله تعالى السعادة. قوله: فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له، أرشدهم ﷺ إلى أن الدعاء في حق من لم يجد المكافأة للمعروف، فيدعو له على حسب معروفه. قوله: تروا بضم التاء، أي تظنوا أنكم كافأتموه، ويحتمل أنها مفتوحة بمعنى تعلموا، ويؤيده ما في سنن أبي داود من حديث ابن عمر: حتى تعلموا، فتعين الثاني للتصريح به: وفيه من سألكم بالله فأجيبوه، أي إلى ما سأل، فيكون بمعنى أعطوه. وعند أبي داود في رواية أبي مهيك عن ابن عباس: من سألكم بوجه الله فأعطوه، وفي رواية عبد الله القواريري لهذا الحديث: ومن سألكم بالله، كما في حديث ابن عمر».

باب لا يسأل بوجه الله الا الجنة

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يسأل بوجه الله إلا الجنة» رواه أبو داود[1].

«فيه مسألتان»: الأولى: النهي عن أن يسأل بوجه الله إلا غاية المطالب. الثانية: إثبات الوجه.

باب ما جاء في اللو[2]

وقول الله تعالى: ﴿يقولون لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا ههُنَا﴾[3]. وقوله: ﴿الَّـذِينَ قَالُـوا لِإِخوَانِهِمْ وَقَعَـدُوا: لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾[4].

(١) قال في الشرح: حديث الباب من جملة الأدلة المتواترة في الكتاب والسنة على إثبات الوجه لله تعالى، فإنه صفة كمال، وسلبه غاية النقص والتشبيه بالناقصات، كسلبهم جميع الصفات أو بعضها، فوقعوا في أعظم مما فروا منه، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، وطريقة اهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً: الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه ووصفه به رسوله ﷺ في سنته على ما يليق بجلال الله وعظمته، فيثبتون له ما أثبته لنفسه في كتابه وأثبته له رسول الله ﷺ وينفون عنه مشابهة المخلوق. فكما أن ذات الرب لا تشبه الذوات فصفاته كذلك لا تشبه الصفات، فمن نفاها فقد سلبه الكمال».

(٢) أدخل المؤلف رحمه الله تعالى أداة التعريف على لفظ «لو» وهي هنا لا تفيد تعريفاً. وغرض المصنف رحمه الله أن يبين ما ورد في لفظ «لو» من النهي عنه عند حصول الأمور المكروهة، كالبلايا والمصائب إذا جرى بها القدر لما فيه من الإشعار بعدم الصبر والأسى على ما فات مما لا يمكن استدواكه. فالذي ينبغي ويجب أن يسلم لقدر الله، ويقوم بحق العبودية الواجبة عليه، وهو الصبر على ما أصابه مما يكره.

(٣) قال هذا بعض المنافقين يوم وقعة أُحد، لخوفهم وجزعهم وخورهم من ذلك اليوم.

(٤) قال الحافظ ابن كثير «أي لو سمعوا مشاورتنا عليهم بالقعود وعدم الخروج ما قتلوا

في الصحيح عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»[1].

«فيه مسائل»: الأولى: تفسير الآيتين في آل عمران. الثانية: النهي الصريح عن قول «لو» إذا أصابك شيء. الثالثة: تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان. الرابعة: الإرشاد إلى الكلام الحسن. الخامسة: الأمر بالحرص على ما ينفع مع الاستعانة بالله. السادسة: النهي عن ضد ذلك، وهو العجز.

باب النهي عن سب الريح[2]

عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا

= مع من قتل. قال الله تعالى: ﴿قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾ أي إذا كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت، فينبغي لكم أن لا تموتوا، والموت لا بدَّ آت إليكم ولو كنتم في بروج مشيدة، فادفعوا عن انفسكم الموت إن كنتم صادقين، قال مجاهد عن جابر بن عبد الله: نزلت هذه الآية في عبد الله بن أُبي وأصحابه، يعني أنه هو الذي قال ذلك».

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه مطولاً، واختصره المصنف. وفي الحديث إرشاد الرسول ﷺ أُمته إذا أصاب أحدهم مكروه فلا يقل: لو أني فعلت كذا وكذا كان كذا وكذا، ولكن يقول: قدر الله وما شاء فعل، أي هذا قدر الله، والواجب التسليم للقدر والرضا به واحتساب الثواب عليه. وينبغي له أن يحرص على فعل الأسباب التي تنفع العبد في دنياه وآخرته، مما شرعه الله تعالى لعباده من الأسباب الواجبة والمستحبة والمباحة، ويكون العبد في حال فعله السبب مستعيناً بالله وحده، غنياً عن كل ما سواه، ليتم له سببه وينفعه، ويكون اعتماده على الله وحده.

(٢) إنما نهى عن سب الريح لأنها إنما تهب عن إيجاد الله تعالى وخلقه لها وأمره، لأنه هو الذي أوجدها وأمرها، فمسبتها مسبة للفاعل الحقيقي، وهو الله جل ذكره. =

الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به» صححه الترمذي.

«فيه مسائل»: الأولى: النهي عن سب الريح. الثانية: الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره. الثالثة: الإرشاد إلى أنها مأمورة. الرابعة: أنها قد تؤمر بخير، وقد تؤمر بشر.

باب قول الله تعالى

﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ الآية. وقوله: ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ، عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ الآية.

قال ابن القيم في الآية الأولى: فُسِّر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله وأن أمره سيضمحل[1]. وفُسِّر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته، ففسر بإنكار الحكمة وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله ﷺ وأن يظهره على الدين كله، وهذا هو ظن السوء الذي ظن المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظن السوء لأنه ظن غير ما يليقُ به سبحانه وما يليقُ بحكمته وحمده ووعده الصادق. فمن ظن أنه يديل[2] الباطل على الحق ادالةً مستقرة يضمحل معها الحق، أو انكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو انكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق

= ولا يفعل السب إلا اهل الجهل بالله ودينه وبما شرعه لعباده. فأرشد النبي أُمته أن يقولوا ما فيه أدب مع الله وخضوع له وتسليم، وما ينفعهم من الدعاء الصالح عند هبوب الريح. والله أعلم.

(١) أي يذهب ويتلاشى.

(٢) الإدالة: الغلبة، يدال عليه: يجعل له الكرة والدولة.

عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم. ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده، فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله وليستغفره من ظنه بربه السوء. ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك: هل أنت سالم؟

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة وإلا فإني لا إخالك ناجياً[1]

«**فيه مسائل**»: الأولى: تفسير آية آل عمران. الثانية: تفسير آية الفتح. الثالثة: الإخبار بأن ذلك أنواع لا تحصر. الرابعة: أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه.

باب ما جاء في منكري القدر[2]

وقال ابن عمر: «والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً، ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر، ثم

---

(١) «من ذي عظيمة» أي من أمر ذي مصيبة عظيمة. «اخالك» بكسر الهمزة، أي اظنك.

(٢) أي من الوعيد الشديد ونحو ذلك. وقد وردت احاديث كثيرة وآثار في ذم القدرية وانهم مجوس هذه الأمة. روى أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «القدرية مجوس هذا الأمة، أن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم». وعن عمر مولى عفرة عن رجل من الأنصار عن حذيفة ـ وهو ابن اليمان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر، من مات منهم فلا تشهدوا جنازته، ومن مرض منهم فلا تعودوه، وهم شيعة الدجال، وحق على الله أن يلحقهم بالدجال».

استدلَّ بقول النبي ﷺ: الإيمـان أن تؤمن بالله ومـلائكته وكتبـه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»، رواه مسلم[1].

وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: «يا بني إنك لن تجد طعم[2] الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. فقال: رب ماذا أكتب؟ قال: أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة، يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من مات على غير هذا فليس مني»[3]. وفي رواية لأحمد: «إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له:

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه كما قال المؤلف. ورواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن يحيى بن يعمر، قال: «كان أول من تكلم في القدر بالبصرة معبد الجهني، انطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحداً من اصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر. فوفق لنا عبد الله بن عمر داخلاً المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام اليّ فقلت: ابا عبد الرحمن، انه قد ظهر قبلنا اناس يقرأون القرآن ويتقفرون العلم، يزعمون أن لا قدر وأن الأمر انف، فقال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم اني منهم بريء وأنهم مني براء، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل احد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر، ثم قال: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب» الحديث الخ، وفيه: «وتؤمن بالقدر خيره وشره». فأبان في الحديث أن الإيمان بالقدر من اصول الإيمان الستة المذكورة في الحديث، فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد ترك اصلاً من اصول الدين وجحده، والله اعلم.

(٢) اي حلاوة الإيمان، كما في حديث آخر.

(٣) رواه ابو داود والترمذي وصححه الإمام احمد. وفي هذا الحديث ونحوه بيان شمول علم الله تعالى واحاطته بما كان وما يكون في الدنيا والآخرة. ويشهد له قوله جل ذكره وتعالت اسماؤه: ﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد احاط بكل شيء علماً﴾ فهذه الكلية داخل فيها ادراك الجزئيات.

أكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة». وفي رواية لابن وهب: قال رسول الله ﷺ: «فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار». وفي المسند والسنن[1] عن ابن الديلمي قال: «أتيت أُبي بن كعب فقلت: في نفسي شيءٌ من القدر، فحدثني بشيء، لعل الله يذهبه من قلبي، فقال: لو انفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار، قال: فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ» حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه.

«**فيه مسائل**»: الأولى: بيان فرض الإيمان بالقدر. الثانية: بيان كيفية الإيمان. الثالثة: إحباط عمل من لم يؤمن به. الرابعة: الإخبار أن أحداً لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به. الخامسة: ذكر أول ما خلق الله. السادسة: أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة. السابعة: براءته ﷺ ممن لم يؤمن به. الثامنة: عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء. التاسعة: أن العلماء أجابوه بما يزيل شبهته، وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله ﷺ فقط.

باب ما جاء في المصورين[2]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله

---

(١) أي مسند احمد وسنن أبي داود.

(٢) أي من عظيم عقوبة الله لهم وعذابه. والمصور هو الذي يصور الصور متشبهاً بالخالق تعالى، وذلك جهل عظيم.

قال الشارح رحمه الله: «وقد ذكر النبي ﷺ العلة، وهي المضاهاة بخلق الله، لأن الله تعالى له الخلق والأمر، فهو رب كل شيء ومليكه، وهو خالق كل شيء، وهو الذي صور جميع المخلوقات، وجعل فيها الأرواح التي تحصل بها الحياة، كما قال تعالى: ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم =

تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة[1]، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة». أخرجاه. ولهما عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله»[2]. ولهما عن ابن عباس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كل مصور

جعل نسله من سلالة من ماء مهين. ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾. فالمصور لما صور الصورة على شكل ما خلقه الله تعالى من إنسان وبهيمة صار مضاهياً لخلق الله، فصار ما صوره عذاباً له يوم القيامة، وكلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ، فكان أشد الناس عذاباً، لأن ذنبه من أكبر الذنوب، فإذا كان هذا فيمن صور صورة على مثال ما خلقه الله تعالى من الحيوان، فكيف بحال من سوى المخلوق برب العالمين وشبهه بخلقه. وصرف له شيئاً من العبادة التي خلق الله الخلق ليعبدوه وحده بما لا يستحقه غيره من كل عمل يحبه الله من العبد ويرضاه، فتسوية المخلوق بالخالق بصرف حقه لمن لا يستحقه من خلقه، وجعله شريكاً له فيما اختص به تعالى وتقدس، هو أعظم ذنب عصى الله تعالى به، ولهذا أرسل رسله وأنزل كتبه لبيان هذا الشرك والنهي عنه، وإخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى. فنجى الله تعالى رسله ومن أطاعهم، وأهلك من جحد التوحيد واستمر على الشرك والتنديد. فما أعظمه من ذنب ﴿إنَّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خرّ في السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾».

(١) الذرة - بفتح المعجمة وتشديد الراء - واحدة الذر، وهو صغار النمل ويراد بها ما يرى في شعاع الشمس الداخل في النافذة، والمراد بالحبة حبة القمح، بقرينة ذكر الشعير، أو الحبة أعم. والغرض تعجيزهم، تارة بتكليفهم خلق حيوان، وهو أشد، وأُخرى بتكليفهم خلق جماد، وهو أهون، ومع ذلك فلا قدرة لهم على شيء منه.

(٢) أي يشابهون. قال الحافظ بن حجر في فتح الباري ج ١٠ ص ٣٢٢: «وقد استشكل كون المصور أشد الناس عذاباً مع قوله تعالى: ﴿أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ فإنه يقتضي أن يكون المصور أشد عذاباً من آل فرعون وأجاب الطبري بأن المراد هنا من يصور ما يعبد من دون الله وهو عارف بذلك قاصداً له، فإنه يكفر بذلك، فلا يبعد أن يدخل مدخل آل فرعون، وأما من لا يقصد ذلك فإنه =

في النار، يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم». ولهما

= يكون عاصياً بتصويره فقط. وأجاب غيره بأن الرواية بإثبات «من» ثابتة، وبحذفها محمولة عليها، وإذا كان من يفعل التصوير من أشد الناس عذاباً كان مشتركاً مع غيره، وليس في الآية ما يقتضي اختصاص آل فرعون بأشد العذاب، بل هم في العذاب الأشد، فكذلك غيرهم يجوز أن يكون في العذاب الأشد. وقوى الطحاوي ذلك بما أخرجه من وجه آخر عن ابن مسعود رفعه: إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتل نبياً أو قتله نبي، وإمام ضلالة، وممثل من الممثلين، وكذا اخرجه احمد. وقد وقع بعض هذه الزيادة في رواية ابن أبي عمر التي أشرت إليها، فاقتصر على المصور وعلى من قتله نبي. وأخرج الطحاوي أيضاً من حديث عائشة مرفوعاً: أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل هجا رجلاً فهجا القبيلة بأسرها. قال الطحاوي: فكل واحد من هؤلاء يشترك مع الآخر في شدة العذاب. وقال أبو الوليد بن رشد في مختصر مشكل الطحاوي ما حاصله: إن الوعيد بهذه الصيغة إن ورد في حق كافر فلا اشكال فيه، لأنه يكون مشتركاً في ذلك مع آل فرعون، ويكون فيه دلالة على عظم كفر المذكور، وإن ورد في حق عاص فيكون أشد عذاباً من غيره من العصاة، ويكون ذلك دالاً على عظم المعصية المذكورة. وأجاب القرطبي في المفهم بأن الذين أضيف إليهم أشد لا يراد بهم كل الناس، بل بعضهم، وهم من يشارك في المعنى المتوعد عليه بالعذاب، ففرعون أشد الناس الذين ادعوا الإلهية عذاباً، ومن يقتدي به في ضلالة كفره اشد عذاباً ممن يقتدي به في ضلالة فسقه، ومن صور صورة ذات روح للعبادة اشد عذاباً ممن يصورها لا للعبادة. واستشكل ظاهر الحديث ايضاً بإبليس وبابن آدم الذي سن القتل، وأجيب بأنه في إبليس واضح، ويجاب بأن المراد بالناس من ينسب إلى آدم، واما في ابن آدم فأجيب بأن الثابت في حقه أن عليه مثل اوزار من يقتل ظلماً، ولا يمتنع أن يشاركه في مثل تعذيبه من ابتدأ الزنا مثلاً، فإن عليه مثل اوزار من يزني بعده، لأنه اول من سن ذلك، ولعل عدد الزناة اكثر من القاتلين، قال النووي: قال العلماء: تصوير صورة الحيوان حرام شديد التحريم، وهو من الكبائر، لأنه متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد، وسواء صنعه لما يمتهن ام لغيره، فصنعه حرام بكل حال، وسواء كان في ثوب أو بساط أو درهم أو دينار أو فلس أو إناء أو حائط أو غيرها، فأما تصوير ما ليس فيه صورة حيوان فليس بحرام. (قلت): ويؤيد التعميم فيما له ظل وفيما لا ظل له ما اخرجه احمد من حديث =

عنه مرفوعاً: «من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ». ولمسلم عن أبي الهياج قال: قال لي علي: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»[1].

= علي: إن النبي ﷺ قال: ايكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثناً إلا كسره، ولا صورة إلا لطخها، أي طمسها، الحديث، وفيه: من عاد إلى صنعة شيء من هذا فقد كفر بما انزل على محمد. وقال الخطابي: إنما عظمت عقوبة المصور لأن الصور كانت تعبد من دون الله، ولأن النظر إليها يفتن، وبعض النفوس إليها تميل. قال: والمراد بالصور هنا التماثيل التي لها روح وقيل يفرق بين العذاب والعقاب، فالعذاب يطلق على ما يؤلم من قول أو فعل كالعتب والانكار، والعقاب يختص بالفعل، فلا يلزم من كون المصور اشد الناس عذاباً أن يكون اشد الناس عقوبة، هكذا ذكره الشريف المرتضى في الغرر، وتعقب بالآية المشار إليها وعليها انبنى الإشكال، ولم يكن هو عرج عليها فلهذا ارتضى التفرقة، والله اعلم. واستبدل به ابو علي الفارسي في التذكرة على تفكير المشبهة، فحمل الحديث عليهم، وانهم المراد بقوله «المصورون» اي الذين يعتقدون أن الله صورة. وتعقب بالحديث الذي بعده في الباب بلفظ: إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون. وبحديث عائشة الآتي بعد بابين بلفظ: إن اصحاب هذه الصور يعذبون. وغير ذلك، ولو سلم له استدلاله لم يرد عليه الإشكال المقدم ذكره. وخص بعضهم الوعيد الشديد بمن صور قاصداً أن يضاهيء، فإنه يصير بذلك القصد كافراً، وسيأتي في باب ما وطيء من التصاوير بلفظ: اشد الناس عذاباً الذين يضاهئون بخلق الله تعالى. واما من عداه فيحرم عليه ويأثم، لكن اثمه دون اثم المضاهيء (قلت): واشد منه من يصور ما يعبد من دون الله كما تقدم، وذكر القرطبي أن اهل الجاهلية كانوا يعملون الأصنام من كل شيء، حتى أن بعضهم عمل صنعه من عجوة ثم جاع فأكله.

(١) قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما امر به ونهى عنه وما كان عليه اصحابه، وبين ما عليه اكثر الناس اليوم، رأى احدهما مضاداً للآخر مناقضاً له، بحيث لا يجتمعان ابداً. فنهى رسول الله ﷺ عن الصلاة إلى القبور، وهؤلاء يصلون عندها وإليها. ونهى عن اتخاذها مساجد، =

«**فيه مسائل**»: الأولى: التغليظ الشديد في المصورين. الثانية: التنبيه على العلة، وهو ترك الأدب مع الله، لقوله: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي». الثالثة: التنبيه على قدرته وعجزهم، لقوله «فليخلقوا ذرة أو شعيرة».

وهؤلاء يبنون عليها المساجد، ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيوت الله. ونهى عن ايقاد السرج عليها، وهؤلاء يوقفون الوقوف على ايقاد السرج عليها. ونهى أن تتخذ عيداً، وهؤلاء يتخذونها اعياداً ومناسك، ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو اكثر. وامر بتسويتها كما روى مسلم في صحيحه عن ابي الهياج الأسدي ـ فذكر حديث الباب ـ وحديث ثمامة بن شفي وهو عند مسلم ايضاً قال: كنا عند فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس، فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بقبره فسوي، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها وهؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين، ويرفعونها عن الأرض كالبيت، ويعقدون عليها القباب. ونهى عن تجصيص القبر والبناء عليه، كما روى مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر وأن يعقد عليه وأن يبنى عليه ونهى عن الكتابة عليها، كما روى ابو داود في سننه عن جابر: أن رسول الله ﷺ نهى عن تجصيص القبور وأن يكتب عليها. قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وهؤلاء يتخذون عليها الألواح ويكتبون عليها القرآن وغيره. ونهى أن يزاد عليها غير ترابها، كما روى ابو داود عن جابر ايضاً: نهى أن يجصص القبر أو يكتب عليه أو يزاد عليه، وهؤلاء يزيدون عليه الآجر والجص والأحجار، قال ابراهيم النخعي: كانوا يكرهون الآجر على قبورهم. والمقصود أن هؤلاء المعظمين للقبور، المتخذيها اعياداً، الموقدين عليها السرج، الذين يبنون عليها المساجد والقباب، مناقضون لما امر به رسول الله ﷺ، محادون لما جاء به. وأعظم من ذلك اتخاذها مساجد وايقاد السرج عليها وهو من الكبائر، وقد صرح الفقهاء من اصحاب أحمد وغيره بتحريمه. قال أبو محمد المقدسي: ولو ابيح اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله، ولأن فيه تضييعاً للمال في غير فائدة، وافراطاً في تعظيم القبور اشبه تعظيم الأصنام قال: ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور لهذا الخبر، ولأن النبي ﷺ قال: لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا،متفق عليه ولأن تخصيص القبور بالصلاة يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب إليها. وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم والتمسح بها والصلاة عندها».

الرابعة: التصريح بأنهم أشد الناس عذاباً. الخامسة: أن الله يخلق بعدد كل صورة نفساً يعذب بها في جهنم. السادسة: أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح. السابعة: الأمر بطمسها إذا وجدت.

باب ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾[1].

عن أبي هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب» أخرجاه[2]. وعن سلمان أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه»[3] رواه الطبراني بسند صحيح. وفي الصحيح

---

(١) الأيمان جمع يمين. أمرهم الله تبارك وتعالى بحفظ الأيمان وعدم المسارعة إليها أو إلى الحنث بها، وفيه النهي عن كثرة الحلف والنكث، ما لم يكن على فعل بر أو إصلاح بين الناس، لما رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير».

(٢) الحلف: بفتح الحاء المهملة وكسر اللام، أي اليمين الكاذبة. وقوله: «منفقة» بفتح الميم والفاء بينهما نون ساكنة: مفعلة من النفاق، بفتح النون، وهو الرواج ضد الكساد. والسلعة، بكسر السين: المتاع. وقوله: ممحقة، بحاء مهملة وقاف وزن الأول. والمعنى والله أعلم: إن الحلف الكاذب وإن زاد في المال فإنه يمحق البركة من البيع، لأن الثمن وإن زاد لكن محق البركة يفضي إلى اضمحلال الزيادة.

(٣) الأشيمط: مصغر أشمط، وهو الذي وخطه الشيب، وصغر تحقيراً له وذلك لأن داعي المعصية ضعف في حقه، فدل على أن الحامل له على الزنا محبة المعصية والفجور وعدم خوفه من الله، وضعف الداعي إلى المعصية مع فعلها يوجب تغليظ العقوبة عليه، بخلاف الشاب، فإن قوة داعي الشهوة منه قد تغلبه مع خوفه من الله، وقد يرجع على نفسه بالندم ولومها على المعصية، فينتهي ويرجع. وكذا

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «خير أُمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً، ثم إن بعدكم قوم يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون، ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن»[٢].

العائل المستكبر ليس له ما يدعوه إلى الكبر، لأن الداعي إلى الكبر في الغالب كثرة المال والنعم والرياسة، والعائل الفقير لا داعي له إلى أن يستكبر، فاستكباره مع عدم الداعي إليه يدل على أن الكبر طبيعة له كامن في قلبه، فعظمت عقوبته مع عدم الداعي إلى هذا الخلق الذميم الذي هو من أكبر المعاصي. قوله: «ورجل جعل الله بضاعته»، بنصب الاسم الشريف، أي الحلف به، جعله بضاعته لملازمته له وغلبته عليه. وهذه أعمال تدل على أن صاحبها إن كان موحداً فتوحيده ضعيف وأعماله ضعيفة، بحسب ما قام بقلبه وظهر على لسانه وعمله من تلك المعاصي العظيمة على قلة الداعي إليها. نسأل الله السلامة والعافية، ونعوذ بالله من كل عمل لا يحبه ربنا ولا يرضاه، قاله في الشرح.

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، وأخرجه البخاري بلفظ «خيركم» ورواه داود والترمذي. قوله «خير أُمتي قرني ثم الذين يلونهم» الخ، يعني الصحابة ثم التابعين، قال العلامة ابن الأثير في النهاية: «القرن أهل كل زمان، وهو مقدار التوسط في أعمار كل زمان، مأخوذ من الاقتران، وكأنه المقدار الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم، وقيل القرن أربعون سنة، وقيل ثمانون سنة، وقيل مائة، وقيل هو مطلق من الزمان. وهو مصدر قرن يقرن». قال في الشرح: قوله: «خير أُمتي قرني. لفضيلة أهل ذلك القرن في العلم والإيمان والأعمال الصالحة التي يتنافس فيها المتنافسون، ويتفاضل فيها العاملون، فغلب الخير فيها وكثر أهله، وقل الشر فيها وأهله، واعتز فيها الإسلام والإيمان، وكثر فيها العلم والعلماء ثم الذين يلونهم. فضلوا على من بعدهم لظهور الإسلام وكثرة الداعي إليه والراغب فيه والقائم به. وما ظهر فيه من البدع أنكر واستعظم وأزيل، كبدعة الخوارج والقدرية والرافضة. فهذه البدع وإن كانت قد ظهرت فأهلها في غاية الذل والمقت والهوان والقتل فيمن عاند منهم ولم يتب. قوله: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً هذا شك من راوي الحديث عمران بن حصين رضي الله عنه. والمشهور في الروايات أن القرون المفضلة ثلاثة، والثالث دون الأولين في الفضل، لكثرة البدع فيه، لكن العلماء متوافرون، والإسلام فيه ظاهر، =

وفيه عن ابن مسعود: أن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته». وقال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة ونحن صغار[1].

«فيه مسائل»: الأولى: الوصية بحفظ الأيمان. الثانية: الإخبار بأن الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للبركة. الثالثة: الوعيد الشديد لمن لا يبيع ولا يشتري إلا بيمينه. الرابعة: التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعي[2]. الخامسة: ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون. السادسة: ثناؤه ﷺ على القرون الثلاثة أو الأربعة، وذكر ما يحدث. السابعة: ذَمُّ الذين يشهدون ولا يستشهدون. الثامنة: كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد.

= والجهاد فيه قائم، ثم ذكر ما وقع بعد القرون الثلاثة من الجفاء في الدين وكثرة الأهواء، فقال: ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون لاستخفافهم بأمر الشهادة وعدم تحريهم الصدق، وذلك لقلة دينهم وضعف إسلامهم. قوله: ويخونون ولا يؤتمنون، يدل على أن الخيانة قد غلبت على كثير منهم أو أكثرهم. وينذرون ولا يوفون. أي لا يؤدون ما وجب عليهم. فظهور هذه الأعمال الذميمة يدل على ضعف إسلامهم وعدم إيمانهم، قوله: ويظهر فيهم السمن. لرغبتهم في الدنيا ونيل شهواتهم والتنعم بها، وغفلتهم عن الدار الآخرة والعمل لها. وفي حديث أنس: زمان لا يأتي إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم، قال أنس: سمعته من نبيكم ﷺ، فما زال الشر يزيد في الأمة حتى ظهر الشرك والبدع في كثير منهم، حتى فيمن ينتسب إلى العلم ويتصدر للتعليم والتصنيف. قلت: بل قد دعوا إلى الشرك والضلال والبدع، وصنفوا في ذلك نظماً ونثراً، فنعوذ من موجبات غضبه».

(١) لما كان الناس في ذلك العصر على غاية من التقوى وقوة الإيمان ومعرفتهم بربهم وقيامهم بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كانوا حريصين على كل ما ينفع واجتناب كل ما يضر. ولا يخفى على العاقل أن الطفل إذا نشأ على حب عمل الخير وكراهة فعل الشر ينتظر منه في المستقبل ما ينفع أمته ويرفعها إلى أوج الكمال. وفيه تمرين الصغار على طاعة ربهم ونهيهم عما يضر بصالحهم. والله أعلم.

(٢) أي مع قلة داعي الشهوة في الأشمط وداعي التكبر في الفقير.

باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

وقوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهدْتُمْ، ولا تَنْقُضُوا الأَيمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها﴾[1] الآية.

وعن بريدة قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً، فقال: أغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، أغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال. أو خلال، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم أدعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم، ثم أدعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله تعالى، ولا يكون

(١) قال حافظ الشام علامة عصره ابن كثير في تفسيره: «هذا مما يأمر الله تعالى به، وهو الوفاء بالعهود والمواثيق، والمحافظة على الإيمان المؤكدة. ولهذا قال: ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾. ولا تعارض بين هذه وبين قوله: ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم﴾ الآية، وبين قوله: ﴿ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم﴾، أي لا تتركوها بلا كفارة، وبين قوله ﷺ في الصحيحين: إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير منها وتحللتها. وفي رواية: وكفرت عن يميني. لا تعارض بين هذا كله وبين الآية المذكورة ههنا، وهي قوله: ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾، لأن هذه الأيمان المراد بها الداخلة في العهود والمواثيق، لا الأيمان التي هي واردة على حث أو منع، ولهذا قال مجاهد في قوله: ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾: يعني الحلف أي حلف الجاهلية، ويؤيده ما رواه الإمام أحمد عن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حلف في الإسلام، وأيما حلف كان في الجاهلية فإنه لا يزيده الإسلام إلا شدة». وكذا رواه مسلم. ومعناه أن الإسلام لا يحتاج معه إلى الحلف الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه، فإن في التمسك بالإسلام كفاية عما كانوا فيه» والله أعلم.

لهم في الغنيمة والفيء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فاسألهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا» رواه مسلم[1].

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه في الجهاد. وهاك بيان كلماته اللغوية قوله: «إذا أمر» أي جعله أميراً، والسرية هي قطعة من الجيش تخرج منه تغير وترجع إليه، وحصرها بعضهم بأربعمائة فارس أو نحو من ذلك. وقوله: «ولا تغلوا» من الغلول، وهو الأخذ من الغنيمة قبل القسمة. وقوله: «ولا تغدروا» بكسر الدال المهملة. «ولا تمثلوا» أي ولا تشوهوا القتلى بقطع شيء من أجسادهم كقطع أنفه وأذنه والعبث به و «الوليد» الصبي. وقوله: «ثم ادعهم إلى الإسلام» قال النووي في شرحه: هكذا هو في جميع نسخ صحيح مسلم «ثم أدعهم» قال القاضي عياض رضي الله تعالى عنه: صواب الرواية أدعهم بإسقاط «ثم» وقد جاء بإسقاطه على الصواب في كتاب أبي عبيد وفي سنن أبي داود وغيرهما، لأنه تفسير للخصال الثلاث وليست غيرها، وقال المازري: ليست ثم هنا زائدة، بل دخلت لاستفتاح الكلام والأخذ اهـ. وقوله: «إلى دار المهاجرين» وهي المدينة المنورة، وكان في أول الأمر وجوب الهجرة إلى المدينة على كل من دخل في الإسلام. وقوله: «فإن أبوا أن يتحولوا» أي فإن امتنعوا بعد أن أسلموا من الهجرة ولم يجاهدوا لم يعطوا من الخمس ولا من الفيء شيئاً. قال النووي رحمه الله تعالى: إنهم إذا أسلموا استحب لهم أن يهاجروا إلى المدينة، فإن فعلوا ذلك كانوا كالمهاجرين قبلهم في استحقاق الفيء والغنيمة وغير ذلك، وإلا فهم أعراب كسائر أعراب المسلمين الساكنين في البادية من غير هجرة ولا غزو، فتجري عليهم أحكام الإسلام، ولا حق لهم في الغنيمة والفيء، وإنما يكون لهم نصيب من الزكاة إن كانوا بصفة استحقاقها. قال الشافعي: الصدقات للمساكين ونحوهم ممن لا حق له في الفيء، والفيء للأجناد، قال: ولا يعطى أهل الفيء من الصدقات، ولا أهل الصدقات من الفيء، واحتج بهذا الحديث. وقال مالك وأبو =

«فيه مسائل»: الأولى: الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين. الثانية: الإرشاد إلى أقل الأمرين خطراً. الثالثة: قوله «اغزوا بسم الله في سبيل الله». الرابعة: قوله «قاتلوا من كفر بالله». الخامسة: قوله «استعن بالله وقاتلهم». السادسة: الفرق بين حكم الله وحكم العلماء. السابعة: في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا؟

باب ما جاء في الاقسام على الله

عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ. «قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عز وجل: من ذا الذي

= حنيفة: المالان سواء، ويجوز صرف كل واحد منهما إلى النوعين. وقال أبو عبيد: هذا الحديث منسوخ. قال: وإنما كان هذا الحكم في أول الإسلام لمن لم يهاجر، ثم نسخ بعد ذلك بقوله تعالى: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ وهذا الذي ادعاه أبو عبيد لا يسلم له اهـ. و «الجزية» هي المال الذي يعقد الكتابي عليه الذمة، وهي فعلة من الجزاء، كأنها جزت عن قتله. وفيه دليل لمالك والأوزاعي ومن وافقهما في جواز أخذ الجزية من كل كافر، عربياً كان أو عجمياً، كتابياً أو مجوسياً أو غيرهما، وقال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه: تؤخذ الجزية من جميع الكفار إلا مشركي العرب ومجوسيهم. وقال الشافعي: لا تقبل إلا من أهل الكتاب والمجوس، عرباً كانوا أو عجماً، ويحتج بمفهوم آية الجزية، وبحديث «سنوا بهم سنة أهل الكتاب» لأن اسم المشرك يطلق على أهل الكتاب وغيرهم، وكان تخصيصهم معلوماً عند الصحابة. واختلفوا في قدر الجزية، وبيان ذلك يعلم من مواضعه في كتب الفقه والسنة. وقوله: «ذمة الله» قال العلماء: الذمة هنا العهد. وقوله: تخفروا، هو بضم التاء. يقال أخفرت الرجل إذا نقضت عهده، وخفرته: أمنته وحميته. قالوا: وهذا نهي تنزيه، أي لا تجعل لهم ذمة الله، فإنه قد ينقضها من لا يعرف حقها وينتهك حرمتها بعض العرب وسواد الجيش. وقوله: «وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله» إلخ، قال النووي رحمه الله تعالى: هذا النهي أيضاً على التنزيه والاحتياط وفيه حجة لمن يقول: ليس كل مجتهد مصيباً، بل المصيب واحد، وهو الموافق لحكم الله تعالى في نفس الأمر، والله أعلم.

يتألى[1] على أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له وأحبطت عملك» رواه مسلم. وفي حديث أبي هريرة: أن القائل رجل عابد[2]. قال أبو هريرة: «تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته»[3].

---

(١) قوله: «يتألى» يحلف ويحكم على الله، وهو من الألية، بتشديد الياء المثناة من تحت، أي اليمين، يقال آلى يولي إيلاء، وتألى يتألى تألياً، والاسم الألية. قال في الشرح: «وصح من حديث أبي هريرة، قال البغوي في شرح السنة، وساق بالسند إلى عكرمة بن عمار قال: دخلت مسجد المدينة فناداني شيخ قال: يا يماني تعالى، وما أعرفه، قال: لا تقولن لرجل والله لا يغفر الله لك أبداً ولا يدخلك الجنة، قلت: ومن أنت يرحمك الله؟ قال أبوهريرة. فقلت: إن هذه كلمة يقولها أحدنا لبعض أهله إذا غضب، أو لزوجته أو لخادمه، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن رجلين كانا في بني إسرائيل متحابين، أحدهما مجتهد في العبادة، والآخر كأنه يقول مذنب، فجعل يقول: أقصر عما أنت فيه، قال: فيقول: خلني وربي، قال: فوجده يوماً على ذنب استعظمه، فقال: أقصر، فقال: خلني وربي، أبعثت عليّ رقيباً؟ فقال: والله لا يغفر لك ولا يدخلك الجنة أبداً، قال: فبعث الله إليهما ملكاً فقبض أرواحهما، فاجتمعا عنده، فقال للمذنب: ادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: أتستطيع أن تخطر على عبدي رحمتي؟ قال: لا يا رب، قال: اذهبوا به إلى النار، قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته. ورواه أبو داود في سننه وهذا لفظه: عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: كان رجلان في بني إسرائيل متآخيين، فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب، فيقول: أقصر، فوجده يوماً على ذنب فقال له: أقصر فقال: خلني وربي، أبعثت عليّ رقيباً؟ قال: والله لا يغفر الله لك ولا يدخلك الجنة، فقبضت أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالماً؟ أو كنت على ما في يدي قادراً؟ فقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار.

(٢) قال في الشرح: قوله في حديث أبي هريرة: أن القائل رجل عابد، يشير إلى قوله في هذا الحديث: أحدهما مجتهد في العبادة. وفي هذه الأحاديث بيان خطر اللسان وذلك يفيد التحرز من الكلام، كما في حديث معاذ قلت: يا رسول الله، وإنّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم، أو قال على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم»، والله أعلم.

(٣) أي هلكت.

«**فيه مسائل**»: الأولى: للتحذير من التألي على الله. الثانية: كون النار أقرب إلى أحدنا من شراك نعله[1]. الثالثة: أن الجنة مثل ذلك. الرابعة: فيه شاهد لقوله: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة» إلى آخره. الخامسة: أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه.

باب لا يستشفع[2] بالله على خلقه

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ

(١) هو سير النعل، وهذا كناية على شدة القرب.

(٢) الاستشفاع طلب الشفاعة، ولا نستشفع بالله على أحد، لأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه. والخير كله بيده، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا راد لما قضى، وما كان الله ليعجزه شيء في السموات ولا في الأرض، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، والخلق وما في أيديهم ملكه، يتصرف فيهم كيف يشاء. وقوله: «نهكت الأنفس» بصيغة المبني للمجهول، أي جهدت وضعفت وقلت. وقوله: «حتى عرف ذلك» الإشارة إلى غضب الأصحاب لغضب الرسول ﷺ لما سمع من الأعرابي ذلك. قال في الشرح: «وأما الاستشفاع بالرسول ﷺ في حياته فالمراد به استجلاب دعائه، وليس خاصاً به ﷺ، بل كل حي صالح يرجى أن يستجاب له فلا بأس أن يطلب منه أن يدعو للسائل بالمطالب الخاصة والعامة، كما قال النبي ﷺ لعمر لما أراد أن يعتمر من المدينة: لا تنسنا يا أخي من صالح دعائك. وأما الميت فإنما يشرع في حقه الدعاء له على جنازته وعلى قبره وفي غير ذلك، وهذا هو الذي يشرع في حق الميت. وأما دعاؤه فلم يشرع، بل قد دل الكتاب والسنة على النهي عنه والوعيد عليه، كما قال تعالى: ﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير أن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم، ولو سمعوا ما استجابوا لكم، ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾. فبين الله تعالى أن دعاء من لا يسمع ولا يستجيب شرك يكفر به المدعو يوم القيامة، أي ينكره ويعادي من فعله، كما في آيات الأحقاف ﴿وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾. فكل ميت أو غائب لا يسمع ولا يستجيب ولا ينفع ولا يضر والصحابة رضي الله عنهم، ولا سيما أهل السوابق منهم، كالخلفاء الراشدين، لم ينقل عن أحد منهم ولا عن غيرهم أنهم أنزلوا حاجاتهم بالنبي عليه السلام بعد وفاته، حتى في أوقات الجدب، كما وقع لعمر رضي الله عنه لما =

فقال: يا رسول الله، نهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك وبك على الله، فقال النبي ﷺ: «سبحان الله! سبحان الله! فما زال يسبِّح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: ويحك! أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد» وذكر الحديث، رواه أبو داود.

«فيه مسائل»: الأولى: انكاره على من قال: «نستشفع بالله عليك». الثانية: تغيره تغيراً عرف في وجوه اصحابه من هذه الكلمة. الثالثة: أنه لم ينكر عليه قوله: «نستشفع بك على الله». الرابعة: التنبيه على تفسير «سبحان الله». الخامسة: إن المسلمين يسألونه الاستسقاء.

باب ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك[1]

عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: «انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ، فقلنا: أنت سيدنا، فقال: السيد الله تبارك

= خرج ليستسقي بالناس خرج بالعباس عم النبي عليه الصلاة والسلام، فأمره أن يستسقي، لأنه حي حاضر يدعو ربه، فلو جاز أن يستسقي بأحد بعد وفاته لاستسقى عمر رضي الله عنه والسابقون الأولون بالنبي ﷺ. وبهذا يظهر الفرق بين الحي والميت، لأن المقصود من الحي دعاؤه إذا كان حاضراً، فإنهم في الحقيقة إنما توجهوا إلى الله بطلب دعاء من يدعوه ويتضرع إليه، وهم كذلك يدعون ربهم، فمن تعدى المشروع إلى ما لا يشرع ضل وأضل، ولو كان دعاء الميت خيراً لكان الصحابة إليه اسبق، وعليه أحرص وبهم أليق، وبحقه أعلم وأقوم، فمن تمسك بكتاب الله نجا، ومن تركه واعتمد على عقله هلك. وبالله التوفيق».

(1) حماية الشيء: صونه عما يتطرق إليه من مكروه أو خلل أو أذى وحمايته، حمى التوحيد: صونه عما يشوبه من الأقوال والأعمال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص وما جاء في ذلك كثير من السنة الثابتة الصحيحة عن رسول الله ﷺ، منها ما رواه الترمذي وغيره. «لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله».

وتعالى، قلنا: وأفضلنا وأعظمنا طولاً، فقال: قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان». رواه أبو داود بسند جيد.

وعن أنس رضي الله عنه: «أن ناساً قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال: يا أيها الناس قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد، عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل» رواه النسائي بسند جيد[1].

«**فيه مسائل**»: الأولى: تحذير الناس من الغلو. الثانية: ما ينبغي أن يقول من قيل له «أنت سيدنا». الثالثة: قوله «لا يستجرينكم الشيطان» مع أنهم لم يقولوا إلا الحق. الرابعة: قوله «ما احب أن ترفعوني فوق منزلتي».

باب ما جاء في قول الله تعالى

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأرضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القيامَةِ﴾[2] الآية.

---

(١) قوله: «وأعظمنا طولاً» أي فضلاً وقدرة. وقوله: «ولا يستجرينكم» أي لا يستغلبنكم فيتخذكم جرياً أي رسولاً ووكيلاً، قال صاحب النهاية: وذلك أنهم كانوا مدحوه فكره لهم المبالغة في المدح فنهاهم عنه، يريد تكلموا بما يحضركم من القول ولا تتكلفوه كأنكم وكلاء الشيطان ورسله تنطقون عن لسانه. وفي الحديث النهي عن تسمية المخلوق بالسيد، واختلف العلماء في ذلك، قال ابن القيم في بدائع الفوائد: «اختلف الناس في جواز إطلاق السيد على البشر: فمنعه قوم، ونقل عن مالك، واحتجوا بقول النبي ﷺ لما قيل له: يا سيدنا، قال: السيد الله تبارك وتعالى. وجوزه قوم، واحتجوا بقول النبي عليه الصلاة والسلام: قوموا إلى سيدكم، وهذا أصح من الحديث الأول. قال هؤلاء: السيد أحمد ما يضاف إليه فلا يقال للتميمي: سيد كندة، ولا يقال للملك: سيد البشر، قال: وعلى هذا فلا يجوز أن يطلق على الله هذا الاسم. وفي هذا نظر، فإن السيد إذا أطلق عليه تعالى فهو في منزلة الملك والمولى والرب، لا بمعنى الذي يطلق على المخلوق».

(٢) قال الحافظ أبو الفداء عماد الدين بن كثير في تفسيره: «يقول تبارك وتعالى: ﴿وما =

قدروا الله حق قدره﴾ أي ما قدر المشركون الله حق قدره حين عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شيء، المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته. قال مجاهد: نزلت في قريش وقال السدي: ما عظموه حق تعظيمه. وقال محمد بن كعب: لو قدروه حق قدره ما كذبوه. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: (وما قدروا الله حق قدره) هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم، فمن آمن أن الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره. وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة، الطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف. قال البخاري قوله تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ حدثنا آدم حدثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد أن الله عز وجل يجعل السموات على اصبع، والأرضين على اصبع، والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك رسول الله عليه الصلاة والسلام حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ الآية. ورواه البخاري أيضاً في غير هذا الموضع من صحيحه والإمام أحمد ومسلم والترمذي والنسائي في التفسير من سننيهما، كلهم من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن ابن مسعود رضي الله عنه بنحوه. وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ من أهل الكتاب، فقال: يا أبا القاسم أبلغك أن الله تعالى يحمل الخلائق على إصبع، والسموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع؟ قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه. قال: وأنزل الله عز وجل: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ إلى آخر الآية وهذا رواه البخاري ومسلم والنسائي من طرق عن الأعمش به. وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن حسن الأشقر حدثنا أبو كدينة عن عطاء عن أبي الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرّ يهودي برسول الله ﷺ وهو جالس، فقال: كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله سبحانه وتعالى السماء على ذه ـ وأشار بالسبابة ـ والأرض على ذه،

= والجبال على ذه، وسائر الخلق على ذه؟ وكل ذلك يشير بأصابعه. قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ الآية، وكذا رواه الترمذي في التفسير عن عبد الله بن عبد الرحمن الـدارمي عن محمد بن الصلت عن أبي جعفر عن أبي كدينة يحيى بن المهلب عن عطاء بن السائب عن أبي الضحي مسلم بن صبيح به. وقال: حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. ثم قال البخاري: حدثنا سعيد بن عفير حدثنا الليث حدثنا عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن ابن شهاب بن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يقبض الله تعالى الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض؟ تفرُد به من هذا الوجه، ورواه مسلم من وجه آخر. وقال البخاري في موضع آخر: حدثنا مقدم بن محمد حدثنا عمي القاسم بن يحيى عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: إن الله تبارك وتعالى يقبض يوم القيامة الأرضين على إصبع، وتكون السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك. تفرد به أيضاً من هذا الوجه، ورواه مسلم من وجه آخر. وقد رواه الإمام أحمد من طريق أُخرى بلفظ آخر أبسط من هذا السياق وأطول، فقال: حدثناعفان حدثناحماد بن سلمة أنبأنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قرأ هـذه الآيات ذات يوم على المنبر: ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامـة، والسموات مـطويات بيمينـه، سبحانـه وتعالى عمـا يشركون﴾، ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده، يحركها، يقبل بها ويدبر، يمجد الرب نفسه: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم. فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا: ليخرن به. وقد رواه مسلم والنسائي وابن ماجه من حديث عبد العزيز أبي حازم، زاد مسلم: ويعقوب بن عبد الرحمن، كلاهما عن أبي حازم عن عبد الله بن مقسم عن ابن عمر رضي الله عنهما به نحوه. ولفظ مسلم عن عبيد الله بن مقسم في هذا الحديث: أنه نظر إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كيف يحكي النبي ﷺ قال: يأخذ الله تبارك وتعالى سمواته وأرضيه بيده، ويقول: أنا الملك، ويقبض أصابعه ويبسطها: أنا الملك، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتى أني لأقول: اساقط هو برسول الله ﷺ؟ وقال البزار: حدثنا سليمان بن سيف حدثنا أبو علي الحنفي حدثنا عباد =

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «جاء حبر[1] من الأحبار إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ: ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾» الآية.

= المنقري حدثني محمد بن المنكدر قال: حدثنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية على المنبر: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ حتى بلغ ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾، فقال المنبر هكذا، فجاء وذهب مرات، والله أعلم. ورواه الإمام الحافظ أبو القاسم الطبراني من حديث عبيد بن عمير عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال: صحيح. وقال الطبراني في المعجم الكبير: حدثنا عبد الرحمن بن معاوية العتبي حدثنا حسان بن نافع عن صخر بن جويرية حدثنا سعيد بن سالم القداح عن معمر بن الحسن عن بكر بن خنيس عن أبي شيبة عن عبد الملك بن عمير عن جرير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لنفر من أصحابه رضي الله عنهم: إني قارىء عليكم آيات من آخر سورة الزمر، فمن بكى منكم وجبت له الجنة، فقرأها ﷺ من عند ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ إلى آخر السورة، فمنا من بكى ومنا من لم يبك، فقال الذين لم يبكوا: يا رسول الله لقد جهدنا أن نبكي فلم نبك، فقال ﷺ: إني سأقرؤها عليكم فمن لم يبك فليتباك»، هذا حديث غريب جداً. وأغرب منه ما رواه في المعجم الكبير أيضاً: حدثنا هاشم بن زيد حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى يقول: ثلاث خلال غيبتهن عن عبادي، لو رآهن رجل ما عمل بسوء أبداً. لو كشفت غطائي فرآني حتى استيقن، ويعلم كيف أفعل بخلقي إذا آتيتهم وقبضت السموات بيدي، ثم قبضت الأرضين، ثم قلت: أنا الملك، من ذا الذي له الملك دوني، فأريهم الجنة وما أعددت لهم فيها من كل خير فيستيقنوها، وأريهم النار وما أعددت لهم فيها من كل شر فيستيقنوها، ولكن عمداً غيبت ذلك عنهم لأعلم كيف يعملون. وهذا اسناد متقارب، وهي نسخة تروى بها أحاديث جمة، والله أعلم».

(١) أي عالم من علماء اليهود.

وفي رواية لمسلم: «والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، أنا الله».

وفي رواية للبخاري: «يجعل السموات على إصبع، والماء والثرى[١] على إصبع، وسائر الخلق على إصبع»، أخرجاه.

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً: يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟».

وروي عن ابن عباس قال: ما السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم.

وقال ابن جرير: حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة أُلقيت في ترس»[٢]. قال: وقال أبو ذر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض»[٣].

وعن ابن مسعود قال: «بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم». أخرجه ابن مهدي عن حماد ابن عاصم عن زر عن عبد الله، ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن

---

(١) هو التراب، والمراد الأرض. ومذهب النبي ﷺ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان الإيمان بهذا الحديث ونحوه بلا تحريف ولا إنكار على العليم الحكيم. وكذب به الجهمية فحرفوه إلى ما يشتهون.

(٢) بضم المثناة، صفحة من فولاذ تحمل لاتقاء الضرب بالسيف.

(٣) أي وسط فلاة، وهذا يدل على عظم العرش والكرسي، والله هو العالم بشكلهما.

أبي وائل عن عبد الله. قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى، قال: وله طرق[1].

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر، بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم» أخرجه أبو داود وغيره.

«فيه مسائل»: الأولى: تفسير قوله ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾. الثانية: أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه ﷺ لم ينكروها ولم يتأولوها. الثالثة: أن الحبر لما ذكر ذلك للنبي ﷺ صدقه، ونزل القرآن بتقرير ذلك. الرابعة: وقوع الضحك من رسول الله ﷺ لما ذكر الحبر هذا العلم العظيم. الخامسة: التصريح بذكر اليدين، وأن السموات في اليد اليمنى، والأرضين في اليد الأخرى. السادسة: التصريح بتسميتها الشمال. السابعة: ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك. الثامنة: قوله كخردلة[2] في كف أحدكم. التاسعة: عظم الكرسي بالنسبة إلى السماء. العاشرة: عظم العرش بالنسبة للكرسي. الحادية عشرة: أن العرش غير الكرسي والماء. الثانية عشرة: كم بين كل سماء إلى سماء. الثالثة عشرة: كم بين السماء السابعة والكرسي. الرابعة عشرة: كم بين الكرسي والماء. الخامسة عشرة: إن العرش فوق الماء. السادسة عشرة: إن الله فوق العرش. السابعة عشرة: كم بين السماء والأرض. الثامنة عشرة: كثف كل سماء خمسمائة سنة. التاسعة عشرة: إن البحر الذي فوق السموات بين أسفله وأعلاه خمسمائة سنة، والله اعلم.

---

(١) قال الذهبي: رواه داود بإسناد حسن، ورواه الترمذي وقال: حسن غريب اهـ من الشارح.

(٢) واحدة الخردل، وهو حب صغير جداً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.

تم كتاب التوحيد
الذي هو حق الله على العبيد والحمد لله

فهـرس